المدخل إلى علم اللغة العربية

الشيخ أحمد السيد.

عطاء
البناء المنهجي

الفهرس

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم لا سهل إلَّا ما جعلته سهلًا، وأنت تجعل الحَزن إذا شئت سهلًا. اللهم لا عِلم لنا إلَّا ما علمتنا، إنَّك أنتَ العليم الحكيم.

حقيقةً، أنا أتحدّث عن اللغة العربية بِحُبّ كبير. مِنَ الأمور المهمَّة في إلقاء المحاضرات والدروس: أن يتحدّث المُلقِي بِحُبّ؛ قبل أن يتحدَّث كموضوع علمي: أن يكون مُحِبًّا للموضوع ومُدرِكًا لقيمته وأهميته؛ فهذا يجعل أداءه وحتى تحضيره للموضوع خيرًا من الموضوع الذي كأنه يأتي وهو مُجبرٌ عليه، أو مثل بعض الدروس الجامعيّة: يأتي الدكتور في الجامعة، عنده مُقرَّر مَفرُوض من إدارة الجامعة أو من إدارة القسم، وهو مُلزَم بأن يُؤدِّي هذا المُقرَّر، حتى لو لم يَكُن مقتنعًا بأهميته وفائدته؛ فيأتي ويُلقيه، وأحيانًا يكون يشعُر بضِيق شديد، وهذا يؤدّي إلى شيءٍ من الضَّعف. لكن أن تأتي فتُقدِّم المادة وأنت مقتنع بأهميتها وجمالها وقيمتها، والمتلقّي كذلك؛ فالمستمع يأتي وهو راغب غير راهب؛ فهذا كله من الأمور التي تُعِين على أداء العلم بصورةٍ جيّدة.

- **عناصر المحاضرة:**

محاضرتنا: المدخل إلى مكانة اللُّغة العربية وعلومها.

عندي عشرة عناصر سأتحدّث عنها في هذه المحاضرة إن شاء الله:

١. **العنصر الأول:** أهميّة اللُّغة العربية ومكانتها.

٢. **العنصر الثاني:** أنواع علوم اللُّغة العربية.

٣. **العنصر الثالث:** نبذة تاريخية عن اللُّغة العربية.

٤. **العنصر الرابع:** أبرز أعلام اللُّغة العربية.

٥. **العنصر الخامس**: مِن أهم الكتب المؤلَّفة في العلوم العربية.

٦. **العنصر السادس**: نماذج من جمال اللُّغة وبهائها وعيون أشعارها وبيانها.

٧. **العنصر السابع**: كيف نتحدّث العربية؟

٨. **العنصر الثامن**: اللُّغة والمنطق والتفكير.

٩. **العنصر التاسع**: خارطة إجمالية لعلم النَّحو –الآجرومية أنموذجًا–.

١٠. **العنصر العاشر**: خُطّة مقترَحة لدراسة اللغة العربية.

إذا أخذنا خمسة عناصر في هذه المحاضرة من العشرة، فهذا جيّد.

أهمية اللُّغة العربية ومكانتها:

ماذا أقول؟ ماذا أقول عن أهمية اللُّغة العربية ومكانتها؟!

أخرَج الإمام ابن أبي شيبة في مصنفه، والدَّارمي في مسنده، وسعيد بن منصور، والبيهقي، وغيرهم من أصحاب السُّنَن والكتب المصنَّفة في الآثار عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "تَعَلَّمُوا اللَّحنَ والفَرائِضَ والسُّنَن كما تعلَّمُون القرآن".

فائدة: بدايةً، دَعُونا نتفق أنَّه: النَّحْوي وليس النَّحَوي؛ مِنَ الشائع: النَّحَوي، وهذا غير صحيح.

ما معنى «اللحن» هُنا؟ «اللَّحن» هُنا: اللُّغة العربية، وليس الخطأ؛ ومن أبرز خصائص اللُّغة العربية: أنَّ الكلمة الواحدة تُطلَق على معانٍ كثيرة جدًّا، وأحيانًا تُطلَق على المعنى وضِدّه، هناك بابٌ في اللُّغة اسمه: الأضداد؛ تأتي الكلمة ويُراد بها ضِدُّها؛ يعني: تأتي على مَعنَيَين مُتضادَّين تمامًا، وهذا له أمثلة كثيرة جدًّا، وله بُحوث كثيرة جدًّا؛ فهُنا: «اللَّحن» المراد به: اللُّغة.

أهمية اللغة العربية عند الصحابة:

١) الأثر الأول:

هذا الأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اعتنى به العلماء، خاصّةً اللُّغويون، اعتنوا به؛ فنجد أنَّ ابن منظور في (لسان العرب) يقول -نقل عن بعض اللُّغويين قوله-: "اللحن ستة معانٍ"؛ اللحن له في اللغة العربية ستة معانٍ. قال: "فـ«اللّحن» الذي هو الخطأ في الإعراب، يُقال منه: لَحَنَ في كلامه، بفتح الحاء، و«اللَّحن» الذي هو اللُّغة، كقول عمر: "تعلَّمُوا الفَرائِض والسُّنَن واللَّحن".

إذن، في (لسان العرب)، «اللَّحن» مِن معانيه: اللُّغة، وهو نفسه -في (لسان العرب)- نصَّ على أنَّ معنى كلام عمر «اللَّحن» هو: اللُّغة؛ إذن، «تعلَّمُوا اللَّحن» أي: تعلَّموا اللُّغة، كما تعلمون القرآن؛ هذا كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فائدة جانبية سريعة: قال: "تَعلَّمُوا اللَّحن والفَرائِض والسُّنَن"؛ طبعًا هُنا يأتيك المشكِّكُون في السُّنَّة يقولون: "عمر كان كذا"، "عمر كان مَوقِفُه مِنَ السُّنَّة كذا"، "عمر كذا"؛ هذا أثَر عن عمر رضي الله عنه يَدعُو إلى تَعلُّم السُّنَّة؛ فالتَّجزِئَة مشكلة.

أيضًا، ابن الأثير في (النّهاية) يقول: "وفي حديث عمر: "تَعلَّمُوا السُّنَّة والفَرائِض واللَّحن كما تعلمون القرآن"؛ يريد: تعلَّمُوا لغة العرب، و«اللَّحن»: اللُّغة والنَّحْو، و«اللَّحن» أيضًا: الخطأ في الإعراب؛ فهو مِنَ الأضداد"، هذا كلام ابن الأثير؛ يقول: كلمة «اللَّحن» مِنَ الأضداد؛ تعني: الخطأ في اللُّغة، وتعني: اللُّغة والإعراب.

٢) الأثر الثاني:

أيضًا أخرج الإمام البخاري رحمه الله في (الأدب المفرد)، وابن أبي شيبة كذلك، وابن حجر حسَّن هذا الأثر؛ قال: "حديث حَسَن"، واسمعوا هذا الأثر الجميل العجيب اللَّطيف جدًّا! عن أبي سلمة بن عبد

الرحمن بن عوف -ابن الصحابي عبد الرحمن بن عوف- قال: "لم يَكُن أصحاب رسول الله مُتَحزّقين ولا مُتمَاوتين، وكانوا يتَناشَدُون الأشعار ويذكرون أمر الجاهلية، فإذا أُرِيد أَحدهُم على شيء مِن أمر دِينه، دارَت حَمالِيق عَينَيه كأنَّه مجنون!".

عن أبي سلمة قال: "لم يَكُن أصحاب رسول الله مُتَحزّقين"، **ما معنى «مُتحزّقين»؟ ضَيّقين؛** الخطَّابي في (غريب الحديث) يقول: "«**التَّحزُّق**»: **التَّجمُّع وشدّة التَّقبُّض**"؛ فلم يكونوا "مُتَحزّقين ولا مُتمَاوتين، وكانوا يتناشَدُون الأشعار"، وهذا مَوضِع الشاهد -"يتناشَدُون الأشعار"-، "ويَذكُرون أمر الجاهلية، فإذا أُرِيد أحَدهُم على شيء مِن أمر دِينِه، دارَت حَمالِيق عَينَيه كأنَّه مجنون!"، هذا نحتاجه جدًّا، هذا المعنى عجيب؛ هو يقول أنَّ الصحابة رضي الله عنهم حين تكون معهم، لم يَكُونوا مُتكلِّفين، ولا ضَيّقين في أحوالهم؛ يتَناشَدُون الأشعار واللُّغة، ويَذكُرون أمر الجاهلية، لكن، إيَّاك أن تمسَّ أحدًا منهم في دِينه! فإذا مسستَ أحدًا منهم في دِينه أو تعدّيتَ على شيء مُتعلِّق بدِينه، أصبح كالمجنون مِنَ الغضب والانتصار والحَمِيَّة لدِينه؛ "فإذا أُرِيد أحَد منهم على شيء"؛ يعني: إذا سُوِّم على شيء مِن دِينه، "دارَت حَمالِيق عَينَيه كأنَّه مجنون!".

٣) الأثر الثالث:

أخرج الطبري في (تهذيب الآثار) في مسند عمر قول ابن عباس: "الشّعر ديوان العرب، هو أول علم العرب"، ومن المعروف أنَّ ابن عباس رضي الله عنه كان يحفظ شعر العرب، وكان ممّا يُفسِّر به القرآن الشعر الجاهلي، وهذا مشهور جدًّا عن ابن عباس رضي الله عنه، وقد صحَّ في البخاري عن النبي ﷺ أنَّه قال: "إنَّ من الشّعرِ لَحِكمةً"، عن أُبَيّ رضي الله عنه، وفي (صحيح مسلم)، عن الشَّريد بن سويد قال: "رَدِفْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَوْمًا، فَقالَ: هلْ معكَ مِن شِعْرِ أُمَيَّةَ بنِ أَبِي الصَّلْتِ شَيءٌ؟ قُلتُ: نَعَمْ، قالَ: هِيهْ"؛ أي: زِدنِي، "فأنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فَقالَ: هِيهْ، ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فَقالَ: هِيهْ، حتَّى أَنْشَدْتُهُ مِائَةَ بَيْتٍ"؛ هذا النبي ﷺ يستمع لشعر أُمية بن أبي الصَّلت.

هذه مقدمات يَسِيرة عن موقف الصحابة؛ لاحظوا، أنا ابتدأتُ بالصحابة في موضوع أهمية اللُّغة العربية.

هذا كتاب مُختصَر ولطيف وجميل، اسمه: (عناية الصحابة باللغة العربية)، من إصدار دار ابن حزم، من تأليف الأستاذ محمد بن مبخوت؛ رسالة لطيفة وجميلة، وفيها هذه الآثار وبعض الآثار الأخرى.

هذا الكتاب –(الرسالة) للشافعي– مِن كُتب الإسلام العِظام، مِن كُتب الإسلام المركزيّة، وطالِب العلم الذي يريد أن يكون متميزًا لا بُدَّ أن يَمُرَّ على كتب الإسلام الكبيرة. هذا الكتاب ذَكر فيه اللُّغة العربية، وقال في المجلد الثّاني، في الصفحة مائة وسبعة وأربعون من الطبعة الجديدة لابن الجوزي: "فعلى كل مسلم أن يتعلّم مِن لسان العرب ما بَلَغه جهده؛ حتى يشهد به أن لا إله إلّا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، ويَنطِق بالذِّكر فيما افترض الله عليه من التكبير وأمَر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك، وما ازداد مِنَ العِلم باللّسان الذي جعلَه الله عز وجل لسانَ مَن ختم به نُبوَّته وأنزل به آخِر كُتبه، كان خيرًا له"؛ أي: كلما ازداد مِن تَعلُّق لسان العرب، كان ذلك خيرًا له. وله كلام آخَر في كتاب (الرسالة)؛ كتاب وكلام مهم جدًّا للإمام الشافعي رحمه الله تعالى.

تأثير اللغة على الأخلاق:

هذا الكتاب اسمه: (اقتضاء الصراط المستقيم لِمُخالَفة أصحاب الجحيم)، للإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى؛ هذا الكتاب مِن مُجلَّدين، الكتاب –إذا أردنا أن نُعبِّر بمصطلح عَصرِي– يتحدث عن الهُوية؛ كيف تكون هُويتك متميزة عن هوية غير المسلمين؟ باختصار وباختزال أيضًا. ولكن، **ما معنى اقتضاء؟** «**اقتضاء**» **يعني**: **استِلزَام**؛ يعني: اتِّباع الصراط المستقيم يقتضي ويستَلزِم مُخالَفة أصحاب الجحيم.

(اقتضاء الصراط المستقيم لِمُخالَفة أصحاب الجحيم)، في هذا الكتاب تكلَّم كثيرًا عن اللُّغة العربية، وبيَّن وجه أهميتها. لماذا هي مُهِمَّة؟ سأقرأ عليكم قليلًا جدًّا مِنَ النصوص؛ لأنها –حقيقةً– في غاية الأهمِّيَّة؛ يقول: "نَفس اللُّغة العربية من الدِّين، ومعرِفتها فرض واجب؛ فإنَّ فَهم الكتاب والسُّنَّة فرض،

ولا يُفهَم إلَّا بفهم اللُّغة العربية، وما لا يتم الواجب إلَّا به فهو واجب، ثُمَّ منها ما هو واجب على الأعيان"؛ «على الأعيان»: على كل واحد، "ومنها ما هو واجب على الكفاية"، وذكَر كلامًا، ثم قال قبله: "وأمَّا اعتياد الخِطَاب بغير اللغة العربية التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن، حتى يَصِير ذلك عادَةً للمِصر وأهله، أو لأهل الدار، أو للرَّجُل مع صاحبه، أو لأهل السُّوق، أو للأُمَراء، أو لأهل الدِّيوان، أو لأهل الفقه؛ فلا ريب أن هذا مكروه".

هل اللُّغة تُؤثِّر على الأخلاق؟ إذا تعلَّمتَ لغةً مُعيَّنة، هل تعلُّم هذه اللغة يمكن أن يُؤثِّر على أخلاقك؟

إجابة أحد الطلاب: قد يُؤثِّر على الطَّبع؛ بين الرِّقَّة والجزالَة والخُشونة، أمَّا كأخلاق وتَعامُل مع الناس، أتوقَّع أنه لا يوجد رابط بين اللُّغة والأخلاق.

تعقيب الشيخ: ابن تيمية أيضًا في المجلد الأول يقول: "واعلَم أنَّ اعتياد اللُّغة يُؤثِّر في العقل والخُلُق والدِّين تأثيرًا قويًّا بَيِّنًا"؛ يقصد اللغة العربية فقط –طبعًا– في كلامه هُنا، ليس معناه أنه يَنفِي عن اللُّغات الأخرى، لكن هُنا يقصد اللغة العربية، "ويُؤثِّر أيضًا في مُشابَهة صدر هذه الأُمَّة مِنَ الصحابة والتابعين، ومُشابَهَتُهم تَزِيد في العقل والدِّين والخُلُق".

بَقِيَت نصوص مهمّة –حقيقةً– عن الجرجاني في (دلائل الإعجاز)، وعن ابن قتيبة في (تأويل مشكل القرآن)، وعن الباقلَّاني في (إعجاز القرآن)؛ عندي نصوص كثيرة هُنا عن أهمية اللُّغة ومكانتها ووجه تأثيرها، لكن لا مشكلة، نتجاوزها، ونذهب للعنصر الثاني: أنواع علوم اللغة العربية؛ لأني أريد أن أُنبِّه على هذه النقطة، وهي مِن أهم النقاط في المحاضرة.

أنواع علوم اللُّغة العربية:

ما هي هذه النقطة؟ اللُّغة العربية –مع الأسف الشديد– عند تَصوُّر كثير من الناس اليوم هي: النَّحْو والصَّرف؛ فأنتَ حين تقول: اللُّغة مُهمَّة، واللُّغة مكانة، واللُّغة تُؤثِّر على العقل وتُؤثِّر على الخُلُق وتُؤثِّر على التفكير؛ هل تقول أنَّ النحو والصرف فقط هو الذي يفعل كل هذا؟ هذا إشكال كبير جدًّا، ومَن زاد في تَعلُّم اللُّغة اليوم: تَعلَّم مع النحو والصرف، ماذا؟ البلاغة! فقط! وماذا يتعلَّم مِنَ البلاغة؟ يأخُذ متنًا في البلاغة، ويَحفظ التقسيمات: ينقَسِم علم البلاغة إلى ثلاثة أقسام، وهذا القسم يتضمّن الأبواب التالية، وتعريف المسند والمسند إليه، وتعريف الكِناية والمَجاز والاستعارة، وأنواع الاستعارة وأنواع الكِناية، فقط! وهذه هي اللغة العربية! لا يا عزيزي؛ اللُّغة العربية أهَمّ وأعلى وأعظم مِن ذلك بكثير جدًّا، وما انطَبع في شعور كثير مِنَ الطلاب أنَّ اللُّغة العربية صعبة، وأنَّ اللغُّة العربية جامدة، وأنَّ اللغة كذا وكذا؛ فهو ربما لانحصار أذهانهم في قوانين النَّحو، وإذا كان المدرِّس في المدرسة أو في الجامعة شديدًا أو عصبيًّا، أو لا يعرف يُقدِّم المادة بشكل جيد؛ وبالتالي ينطَبِع في الأذهان أنَّ اللُّغة العربية صعبة ومُتحَجِّرة، وقد يَصرِف الإنسان ذِهنَه عن أن يتخصَّص في اللغة بسبب طبيعة تَلَقِّيه لها.

وفي الحقيقة –أيُّها الكرام–، اللُّغة العربية بحرٌ كبير وحياة واسعة جدًّا، ومَن يُوسِّع فقط قليلًا من قراءته في اللغة العربية، سَيُدرِك جيدًا أنَّه كان ظالِمًا لنفسه في نظرته للغة العربية؛ مثلًا، إذا رأينا هذا الكتاب، (فقه اللغة)، هذا كتاب مهم، أنا أُرشِّح أنَّ كل واحد منكم يقتنيه؛ هذا كتاب (فقه اللغة) للدكتور محمد بن إبراهيم الحمد، مَدخل عصري سهل في علم فقه اللغة.

• كم عِلمًا عندنا مِن علوم اللغة العربية؟

١. النحو.

٢. الصرف.

٣. البلاغة.

٤. العروض.

٥. الشعر كصنعة هو العروض، ولكن الشعر كمتن يمكن أن نُضِيفَه.

٦. ويمكن أن نقول: الأدب العربي.

٧. الخط والإملاء.

٨. فقه اللغة: مِن أهم علوم اللغة.

٩. النقد الأدبي.

الخَطابة: الخُطَب العربية مِن مادة الأدب العربي، لكن صناعة الخطابة الآن صار تصنيفها بعيدًا نوعًا ما.

١٠. علم الأصوات: مِن أهم علوم اللغة العربية.

«اللُّغة العربية» التي يقصدها العلماء حين يتكلمون عن أهمية اللغة هي مجموع هذه العلوم، وليس النحو والصرف فقط؛ وإنَّما متن اللغة مِن أهمّ الأشياء التي يَدعُون إليها؛ أن يزداد الإنسان مِن رصيده في المعجم اللغوي؛ المادة الأدبية للُّغة العربية هي مِن أهم الأشياء التي يُدعى إليها؛ معرفة فقه اللغة، أو كما قال الثعالبي: "فِقهُ اللُّغة وَسِرّ العربية"، هذا مِن أهم الأشياء التي يُدعى إليها؛ فالدعوة إلى مكانة اللُّغة العربية ليست بمعرفة قانون الإعراب وقانون تصريف الكلمة فقط؛ وإنَّما بمعرفة قوانين العرب بشكلٍ عامٍ في الحديث، والمتن اللغوي الذي تركوه، المتن الشعري، المتن النثري، المتن الخطابي؛ هذا كله يدخل في اللغة العربية التي يُدعى إلى تَعلُّمِها.

ولذلك، نَجِد أنَّ الجرجاني -لو تتذكرون- في محاضرة إعجاز القرآن يقول: "الصَّادُّ عن تَعلُّم شِعر العرب كالصَّادِّ عن تَعلُّم القرآن"، عندي نص كلامه هُنا؛ يقول: "إذا كُنَّا نَعلَم أنَّ الجهة التي منها قامَت الحُجَّة بالقرآن وظهرت، وبانَت وبهرَت، هي: أن كان على حَدٍّ مِنَ الفصاحة تَقصُر عنه قوى البشر، ومُنتَهِيًا

إلى غاية لا يطمح إليها بالفِكر، وكان مُحالًا أن يعرف كَونه كذلك إلَّا مَن عَرَف الشّعر الذي هو ديوان العرب وعنوان الأدب؛ كان الصَّادُّ عن ذلك صَادًّا عن أن تعرف حُجَّة الله تعالى".

مرة ثانية، رَكِّزُوا معي؛ يقول: "إذا كُنَّا نَعلَم أنَّ الجهة التي منها قامَت الحُجَّة بالقرآن وظهرت، وبانَت وبهرَت، هي: أن كان على حَدٍّ مِنَ الفصاحة تَقصُر عنه قوى البشر، ومُنتَهِيًا إلى غاية لا يطمح إليها بالفِكر"؛ هذه المقدمة الأولى، المقدمة الثانية: وكان مُحالًا أن يعرف كَونه كذلك"؛ يعني: يَستَحِيل أن تَعرِف أنَّ القرآن على هذا القَدر مِنَ الإعجاز؛ لا يعرفه "إلَّا مَن عَرَف الشّعر الذي هو ديوان العرب وعنوان الأدب؛ كان"، هذه النتيجة: "الصَّادُّ عن ذلك –يعني: عن تَعلُّم الشِّعر الذي به يعرف فضل القرآن اللُّغوي– صَادًّا عن أن تعرف حُجَّة الله تعالى، كان مَثَله مثَل مَن يتصدَّى للناس، فيمنَعهم عن أن يحفظوا كتاب الله ويَقُوموا به ويتلُوه ويَقرؤُه"، إلى آخِر كلامه، ولا أريد أن أذكر بقية الكلام.

مِن أهم علوم اللُّغة العربية:

فقه اللغة:

إذن، مِن أهم ما يَدخُل في علوم اللُّغة: علم فقه اللُّغة، وإذا قرأتُم هذا الكتاب –(فقه اللغة)–، سَتُدركون جيدًا أنَّ هناك علومًا كثيرةً من اللغة العربية لم نتعرَّف عليها، ولم نَظُنّ أنَّها داخلة في علوم اللُّغة العربية؛ هذا الكتاب سهل وسَلِس، وهو مُقرَّر في البرنامج أصلًا –بإذن الله تعالى–.

حسنًا، ما خصائص اللُّغة العربية؟ كيف نعرف خصائص اللُّغة؟ مِن مادة فقه اللُّغة.

كيف نعرف خصائص اللُّغة بتفصيل؟ لماذا كانت اللُّغة العربية أفضل لغة؟ ما خصائصها؟ وهل فيها قياس أم لا؟ وهذه كلُّها علوم تدخل ضمن علم فقه اللغة العربية؛ تاريخ اللغة العربية، أصل اللغة العربية، وما إلى ذلك؛ كله داخل في علم فقه اللغة.

سؤال أحد الطلاب: ما العلاقة بين اللغة والأخلاق؟ إلى الآن، لديّ مشكلة فيه.

إجابة الشيخ: لو تُلاحِظ، في النَّص الذي قاله ابن تيمية: "هي وسيلة للتَّشَبُّه بالصحابة والتابعين"، وما إلى ذلك.

تعليق أحد الطلاب: هُنا، المشكلة أنَّ اللُّغة العربية موجودة قبل أن يأتي الإسلام؛ يعني: أهل الجاهلية هُم عرب، بل مِن صَمِيم العرب، لكن أخلاقهم لا تدلّ على رُقِيّ عالٍ في الأخلاق!

تعقيب الشيخ: هو يختلف معك في هذه النقطة أصلًا؛ يعني: هو وغيره من العلماء يَرون أنَّ العرب قبل الإسلام كان لديهم رصيد أخلاقي كبير جدًّا، ورصيد مُشكل!

تعليق أحد الطلاب: رصيد أخلاقي موجود، لكن ليس كبير جدًّا.

تعقيب الشيخ: لا، كبير جدًّا؛ في أبواب في الكرم -مثلًا-، في رعاية الجار، في الغيرة على المحارِم؛ مثلًا، كتاب (المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام)، هذا الكتاب بوابة كبيرة لمعرفة ما كان عليه العرب، وحتى كل أخلاق العرب دوّنت في ديوانهم، الذي هو الشعر.

أنا أتكلم عَنِّي شخصيًّا؛ أنا شخصيًّا أتمثَّل شيئًا من أخلاق العرب نتيجةً لِحفظ بعض أشعارهم فعلًا؛ مثلًا، أحيانًا، في أبواب مثل عِزَّة النفس، كرامتها، مِن أفضل ما أَجِدُه وأتمثَّل به -حتى في نفسي- هي: أبيات من اللُّغة العربية فيها هذه المعاني.

القصد: أنَّه كلما ازددتَ معرفةً باللُّغة بِمُجملِها، فتحتَ بوابةً كبيرة إلى معرفة ما كان عليه العرب، وحفظ أشعارهم، ثم إلى الازدياد من القرآن والسُّنَّة وما كان عليه السلف الأول؛ بمعنى أنَّ هناك بوابةً كبيرة لغوية هي التي تُتِيح لك مدى السَّعة والتَّضيِيق في الإطِّلاع على العلوم الأولى؛ يعني: حتى القرآن والسُّنَّة

والآثار الوارِدَة عن الصحابة والتابعين، هل يَستَوِي مَن لديه المعرفة اللغوية ومَن لا يمتلك هذه المعرفة في مدى الاستفادة؟ قولًا واحدًا: لا! هذا نحن مُتَّفِقُون عليه.

هل هذا في المعرفة النظرية فقط أم فيما يترتَّب على هذه المعرفة مِنَ الأخلاق والعقل والسلوك؟ أقصد أنَّ الأمر ليس أن تحفَظ اللغة ثمّ تأتي النتيجة لازمةً ومباشرةً! إنَّما هذه اللغة التي تتعلُّمها هي عبارة عن بوابة، وعبارة عن مفتاح كبير لرصيد أخلاقي وعقلي كبير جدًّا!

سؤال أحد الطلاب: نحن مُتَّفِقُون بطريقة التفكير، لكن تأثيرها على الأخلاق: لا؛ مثلًا: القصيدة الأولى في المعلَّقات كانت لامرئ القيس؛ امرؤ القيس قصته كانت كلها خمرًا ونساءً وعربدة، إلى آخِره، لكن قصيدة طرفة بن العبد لم تَكُن الأولى، وقد كان فيها القتال والحرب والجزالة؛ هذا الذي أستَشكِلُه؛ أنا مُتَّفِق معك أنَّ الجاهلية ليست خالِيَة مِنَ الأخلاق أبدًا، لكن أولئك كانت أخلاقُهم بها مشكلة.

تعقيب الشيخ: أنت لا تَنظُر بالعين التقليدية فقط -عين المقلِّد-؛ أنت الآن آتٍ ولديك معايير إسلامية، ولديك معايير أخلاقية أيضًا. أنا أزعم أنَّ الشخص الذي لديه معرفة تفصيلية بالشعر العربي خاصةً، والشخص الذي ليس لديه معرفة بالشعر العربي، أزعم أنَّ بينهما فرقًا في إمكانية الازدياد في الأخلاق؛ هذا الذي أراه قَطعًا.

علم البلاغة:

بالنسبة إلى علم البلاغة يا كرام، علم البلاغة العربية هو من العلوم الحيّة التي لا أريد أن أقول أنَّها قُتلت، ولكنّها خُفِّف مِن أثَرِها وجمالها عن طريق المتون البلاغيّة. البلاغة العربية لا تُستفاد من جهة المتون المخصصة في البلاغة؛ المتون المخصصة في البلاغة هي مِنَ المُعِينات على الوصول إلى شيء من البلاغة، لكن البلاغة العربية مقياسها الأول هو: أن يكون لديك رصيد من اللغة تستطيع أن تُوَلِّد منه وتَقِيس عليه.

سِرُّ البلاغة العربية فِي: أن يكون لديك رصيد لغوي كبير، تستطيع أن تُوَلِّد منه وتَقِيس عليه؛ اللغة العربية يُقاس عليها؛ أنتَ كلما اجتمع لديك رصيد من اللغة، وأقصد بـ«اللغة» هُنا: المتن؛ متن اللغة، ليس المقصود متن كتاب، وإنَّما «المتن»: المادة؛ مادة العربية: رصيد الكلمات، رصيد الأشعار، رصيد الأدب؛ كلما ازداد لديك هذا الرصيد استطعتَ أن تُوَلِّد منه وتَقِيس عليه في البلاغة والبيان.

فالبلاغة العربية ليست بمقدار ما تقرأ مِنَ الكتب المؤلَّفة في علم البلاغة، وإنَّما البلاغة العربية بمقدار ما تزداد من الرصيد اللغوي؛ هذه النقطة الأولى، ثم كلما ازددتَ قراءةً للبُلَغاء وازددتَ قراءةً للمُتمَكِّنِين الأدباء، استطعتَ أن تُفعِّل هذه المادة.

- **خلاصة القول: كيف تكون بليغًا؟**

بوَسِيلتَين أساسيتين:

١. **الوسيلة الأولى:** أن يَزِيد رصيدك اللغوي.

سؤال: كيف يزيد رصيدك اللغوي؟

الجواب: بِحفظ كلام العرب وأشعارهم وعُيون مِن نَثرِهم وخُطَبِهم.

٢. **الوسيلة الثانية:** أن أعتاد وأُمارِس قراءة كلام البلغاء.

سؤال: مثل مَن؟ اقرأ لِمَن؟ كيف اقرأ؟

الجواب: مثل القراءة للجاحظ؛ الجاحظ مِن أبرز وأكبر علماء اللغة العربية، وكلامه ليس في قوانين اللغة؛ ليس في أقسام الفعل والفاعل والمفعول وأنواع المفعولات وما إلى ذلك؛ وإنّما كلامه هو: مُمارَسة عملية للغة العربية في نحوها وصرفها وبلاغتها وبيانها، إلى آخره؛ وبالتالي، اعتياد القراءة لمثل الجاحظ يَزِيد من بلاغة الإنسان.

وهُنا أنصح نصيحة: لا تَحرِص على قراءة أكبر عدد مِن كتب البُلَغاء بِقَدر ما تَحرِص على تكرار كتب مُعيَّنة لبَلِيغ مُعيَّن؛ لا تَحرِص على الازدياد مِن قراءة كتب البُلَغاء بِقَدر حِرصك على أن تُكَرِّر كتب مُؤلِّف واحد بِعَينه، حتى تهضم أسلوبه.

- **لمن نقرأ؟**

١. **الشيخ علي الطنطاوي**: فمثلًا، إذا أردنا أن نأخذ شخصًا مِنَ المعاصرين أسلوبه سهل وسَلِس: الشيخ علي الطنطاوي؛ أنا أنصح –حقيقةً– للناطقين بغير العربية الذين يَبتدِئُون في اللغة أن يقرؤوا لعلي الطنطاوي؛ ليس لأجل الفائدة العلمية –وإن كان فيها فوائد–، وإنَّما لأجل اعتياد الأسلوب؛ فإذا كرَّرتَ كُتبَه، فأنت تستطيع أن يتكوَّن لديك رصيد تستطيع أن تَقِيس عليه لاحقًا.

٢. **مصطفى الرافعي**: ثم بعد ذلك: مصطفى الرافعي، وهو أعلى رُتبة، وأنصح مَن لديهم رصيد جيد أن يأخذوا مصطفى الرافعي، أمَّا المبتدئ جدًّا الذي ما قرأ شيئًا في لغة العرب –أي بِمَتنِها– أن يبدأ بالطنطاوي، لكن مصطفى صادق الرافعي أعلى؛ فمثلًا، (وحي القلم) يُكرَّر.

٣. **الجاحظ وبعض المتقدمين**: وأفضل وأعلى مِن ذلك: الرجوع لبعض المتقدِّمين، ومِن أبرزهم: الجاحظ في كتابه: (البيان والتَّبيين).

المنفلوطي لا يوجد شك أنَّه ممتاز، ولكن لا يُقارَن بمصطفى صادق الرافعي؛ فيمكن القول: إمَّا علي الطنطاوي أو المنفلوطي؛ بِحُكم أنَّ المنفلوطي عبارته سهلة جدًّا وتعبيراته سهلة؛ فأكثَر ما كَتَب هو في الأدب الروائي والقصصي، مفيد جدًّا طبعًا، لكن لا أرى أنه مثل مصطفى صادق الرافعي أبدًا؛ فمصطفى أعلَم وأعلى، وفي المعاصرين، أعتقد أنَّه مِن أفضلهم –إن لم يَكُن أفضلَهم–.

محمود شاكر جيّد بلا شك، لكن في العلم باللُّغة وليس فيما أنتجَه، وما أنتجَه طبعًا مهم ومفيد، ولكن مصطفى صادق الرافعي تَرَك متنًا؛ أشبه ما يكون بالمتن الذي يمكن أن يُقرأ ويُعاد.

أهم كتاب كتَبَه محمود شاكر في هذا: كتاب (المتنبي)، لكن كتاب (المتنبي) لا يعطيك هذه الثمرة، وإنَّما يُعطِيك صناعة التَّذوُّق للشعر العربي؛ أي: كيف تكتَسِب حاسَّة التَّذوُّق للشِّعر العربي.؛ مِن أفضَل ما كتبَه المعاصرون في ذلك: كتاب محمود شاكر: (المتنبي)، والذي أخَذ عليه جائزة كبرى.

علم العروض:

«علم العَرُوض» هو: علم صناعة الشِّعر.

هذا كتاب اسمه: (النصيب المفروض مِن علم العَرُوض).

هل مَن يتعلَّم عِلم العَرُوض يكون شاعرًا؟ في الحقيقة، مَن يُرِيد أن يكون شاعرًا، أنا أدعوه للمُحاوَلة عبر هذا الكتاب؛ لأنه فعلًا يُقدِّم شيئًا سهلًا وسَلِسًا وجميلًا، يُمكن أن تُحاوِل به؛ لن أقول: ستكون شاعرًا، لكن تُحاوِل.

أكثَر إمام لُغَوِي أُحِبُّه شخصيًّا هو الإمام ابن فارس؛ الفخامة تتمثَّل في الحرف! فخامة بكل ما تَعنِيه الكلمة! وهذا الكتاب: (مجموع رسائل العلَّامة ابن فارس) –وللإمام ابن فارس كتاب في فقه اللغة، اسمه: (الصَّاحِبي في فقه اللغة)، لكنه قد يكون فيه صعوبة قليلًا–، كتاب (مجموع رسائل العلَّامة ابن فارس) رائع بكل ما تَعنِيه الكلمة؛ هُنا بالضبط: النموذج العَمَلي؛ حين نقول: زِد مِن رصيدك اللغوي؛ هُنا.

حين تقرأ هذا الكتاب، ستَخرُج بمفهوم آخَر عن اللُّغة العربية حقًّا، والكتاب فيه رسائل كثيرة؛ ففيه خمس عشرة رسالة؛ مثلًا: أفراد كلمات القرآن، كتاب اللَّامات، أسماء رسول الله ﷺ ومعانيها، أوجَز السِّيَر لخير البشر، كتاب فُتيا فقيه العرب، تمام الفصيح، مُتخيّر الألفاظ –ومُتخيّر الألفاظ هو مِن أجمل الرسائل في هذا الكتاب، والذي لا يُريد أن يقرأ إلَّا رسالة واحدة من هذا الكتاب يقرأ مُتخيّر الألفاظ–، مقالة في أسماء أعضاء الإنسان، ذَمّ الخطأ في الشِّعر، أبيات الاستشهاد؛ وفكرة أبيات الاستشهاد:

يَذكُر إذا وقعتَ في هَمّ، يأتي لك بِبَيت مناسب له؛ مثلًا: إذا جاءك ضيف منذ زمن لم يأتِك: هذا البيت، إذا خانَك صديقك: هذا البيت، وهكذا؛ فأبيات الاستشهاد على حسب أحوال الإنسان، وكتاب (أبيات الاستشهاد) هذا لابن فارس، وشرحه صاحب كتاب (فقه اللغة)، وهو محمد الحَمد، وابن فارس ليس مُعاصِرًا؛ كان في فترة ثلاثمائة وخمسة وتسعين، وكتابه الأسطورة: (معجم مقاييس اللغة) مِن أفضل معاجم اللغة العربية على الإطلاق، لابن فارس.

مثلًا: مِن كتاب مُتخيّر الألفاظ، نقرأ باب الجَمال -مثلًا-؛ يُقال: إنَّ فلانًا لَمَشبُوب -نَيِّر الوجه-، ويقولون للمرأة البيضاء: إنَّ الخمار الأسود يشبّ وجهها ويُحفِّلُه. قال بِشرٌ:

"رأى دُرَّةً بيضـــــــاء يَحفِـــــــلُ لَونُهـــــــا	سُـــــخامٌ كَغِـــربان البَرِيـــر مُقصَّـــب"

وقال: "إنَّ النَّاس يرونَ بك هِلالًا".

قال الفرزدق:

"تَـــرى الغُـــرَّ الجَحـــاجِح مِـــن قُـــريش	إذا مَـــا الأمـــرُ في الحَـــدَثان عَـــالًا
قـيامًـــــا يَـنـظـــــرُون إلى سـعيـــــــد	كأنَّهـــــم يَـــــرون بـــــه هِـــــلالًا"

وقالت أعرابية لرَجُل:

"إنَّـــــــك لَتَزُونُنــــــــا إذا أتَينـــــــا	كأنَّـــك هِـــلال بَـــدا في غـــير قَتَـــالٍ"

«في غير قَتَال» أي: في غير غَبرَة.

ويقولون: "ما أنضَر وجهَه وأشرَقَه! وما أحسَن اِلتياحَه! وإنَّ فلانًا لَمِبشارٌ -أي: هو أبَدٌ ضاحك-، وإنَّه لأحسَن مِن شنفِ الأَنضُر، وأحسَن مِنَ الوَذيلة -«الأَنضُر»: جَمع نضر، وهو الذهب-، وما أحسَن أسرار وجهه وأَسِرَّة وجهه، وإنه ليُستَسقَى به الغمام، وإنه لَبسَّامٌ ساعات النجوم، وإنه لَنيِّر الوجه، بَلِيج الوجه، وما أحسَن قسمته! -وهو الوجه-".

قال:

"كـــــأنَّ دنانــــــيرًا علــــــى قســـــــماتهم　　　وإن كـــان قـــد شـــفّ الوجـــوه لقـــاؤهم"

إلى آخِرِ الكلام، لم أنتهِ؛ كلام طويل، كلُّه في الجمال فقط، لكن هُنا، أنت يزداد رصيدك اللغوي بشكل كبير، والأمر الآخَر: يزداد الثراء اللغوي عندك.

حقًّا، اللُّغة العربية، كما قال مَن قال مِنَ السَّلف: "تَزِيد العقل"، حقًّا ودُون ريب ودُون شك، شيء مُذهِل! فكلَّما ازدادت الكلمات، ازداد إمكان استخراج اللغة في العقل، وليس فقط التعبير؛ فاللغة قانون في كل جزء منه؛ فمثلًا، هذا الكتاب اسمه: (رصْف المباني في شرح حروف المعاني)، للإمام أحمد بن عبد النور المالَقِي، والكتاب كان في القرن السابع تقريبًا -أو السادس-.

قبل قليل، ألَم يُقَل: اللحن يأتي على ستة معانٍ وكلمات؟ يعني الأسماء والأفعال؛ فهناك كتب تقول لك: هذه الكلمة تأتي على كم معنى؛ فكتاب (رصف المباني في شرح حروف المعاني) تخصَّص في الحروف فقط؛ أتى بكل حروف اللغة العربية، ولكل حرف منها: ما المعاني التي يأتي عليها؟

مثلًا: الباء -باب الباء-: كم معنًى للباء؟ أحيانًا ستة عشر معنى، تسعة معاني، عشر معاني، إلى آخره، للحرف الواحد؛ وهذا الكتاب كاملًا فقط في شرح المعاني المتعلِّقة بالحروف.

فاللغة العربية حيَّة فعلًا؛ يعني: كل جزء منها له بحر يَجُرُّه وراءَه؛ مثلًا، الجملة المكونة من: اسم وفعل وحرف؛ الحرف الذي هو أَقلُّها وأَضعَفُها، دائمًا يأتي مُكمّلًا وتابعًا، إلَّا أنَّ له معانٍ كثيرة جدًّا بحسب تفصيلاته.

كم الحروف في اللُّغة؟ مثل: حروف الجر، حروف القَسَم، وغيرها.

يقول: "واعلَم أنَّ جُملَة الحروف في هذا الكتاب خمسة وتسعون حرفًا، منها ثلاثة عشر مُفردة، واثنان وثمانون مركبات. أمَّا «المفردة» فـ: الألف، والهمزة، والباء، والتاء، والكاف، واللام، والميم، والنون، والفاء، والسين، والهاء، والواو، والياء. وأمَّا «المركَّبة» فهي: أجل، وإذ، وإذا، وإذن، وأن، ولا، وألَا، وإلى، وإلَّا، وألَّا، وإن، وإمَّا، وأمَّا، إلى آخره"؛ اثنان وثمانون.

ماذا يفعل؟ يقول –مثلًا–: باب الباء: "اعلَم أنَّ الباء تكون في كلام العرب مُفردة ومُركبة مع غيرها من الحروف. باب الباء المفردة: اعلَم أنَّ الباء المفردة لا تكون في كلام العرب إلَّا جارَّةً لا غير؛ تَخفض ما بعدها على كل حال، وهي على ثلاثة أقسام: قِسم لا يمكن أن تكون زائدة قطعًا، وقِسم لا تكون إلَّا زائدة قطعًا، وقِسم يحتمل أن تكون زائدة وألَّا تكون"، ثم يبدأ بِذكر معاني كل واحد، والأمثلة عليه مِنَ القرآن ومِن شعر العرب وما إلى ذلك؛ هذا فقط في حروف اللغة العربية.

هُنا مثلًا، في (مجموع رسائل ابن فارس)، عنده إحدى الرسائل اسمها: (كتاب اللَّامَات)، باب اللَّام الداخل؛ بمعنى: التأكيد، اللّام التي تَعقب القَسَم، إلى آخره.

ما الفائدة مِن هذا كله يا جماعة؟ الفائدة أنَّك تقرأ الجملة العربية بعد ذلك فتقرأها مُشِعَّة بالمعاني، تقرأ القرآن يُشِعّ بالمعاني؛ كل حرف له معنى، له قيمة، وليس فقط إعراب القرآن: فاعل، مفعول، جار، مجرور، فاعل؛ لا، القضية أنَّه حتى الحرف الذي هو أقل شيء وأقل ما يمكن أن يكون مِنَ المعاني، له قانون كبير جدًّا يَحكُمه؛ هُنا قيمة اللغة العربية التي نتحدّث عنها، وليس في قيمة الإعراب فقط.

هذا الكتاب: (أسرار العربية) للأنباري، متوفى سنة ٥٧٧هـ يَعرض النحْو كاملًا، ولكن مِن جهة المعنى؛ يعني: لماذا سمّوه «جَمع التكسير»؟ ولماذا زِيدَت الألف والتاء لأجل جمع المؤنث السالم؟ لماذا ألف وتاء وليس حرفًا آخر؟ لماذا زادوا الواو والنون في جمع المذكر السالم؟ هذا يَصلُح بعد دراسة النحو؛ بعد أن تَدرُس النحو تقرأ هذا الكتاب كاملًا؛ تفهم النحو كاملًا من جهةٍ أخرى، كتاب رائع وجميل.

سأسألكم سؤالًا: إلى متى كان الناس في العالم العربي يتحدَّثُون بالفصحى؟ إلى أَيِّ سنة -تقريبًا- كان الناس يتحدَّثُون بالعربية الفصحى سَلِيقَةً؟

معنى «سَلِيقَةً»: دُون تعلُّم؛ دُون أن يتعلَّم الإعراب والقانون العربي في الكلام.

الدكتور محمد العمري من المتخصصين في اللغة العربية؛ متميز، وأدعو إلى مشاهدة مَقاطِعه؛ عنده دورة بعنوان (المدخل إلى علم اللغة العربية)، سِتّ محاضرات على يوتيوب، ندعو إلى مشاهدتها كاملة، وهو مِنَ الذين يُؤَكِّدُون على هذه القضية: أنَّ اللُّغة العربية ليست نحوًا وصرفًا فقط، وجَعَل علوم اللغة ستة علوم: فقه اللغة، وعلم الأصوات، والنحو، والصرف، والبلاغة، والعَرُوض.

كان يقول: إلى عام مائتين للهجرة، انتهى مِن حَواضِر بلدان العرب مَن يتكلم العربية سَلِيقَةً؛ في «الحَواضِر»؛ أي في المُدُن، انتهى مَن يتحدَّث الفصحى سَلِيقَةً، وفي عام أربعمائة تقريبًا، انتهى مَن يتحدَّث الفصحى سَلِيقَةً مِنَ البَوادِي أيضًا؛ هذا كلام الدكتور محمد العمري، وهذا يُخفِّف اللَّوم علينا.

سيأتينا -إن شاء الله- في عنصر: كيف نتحدث الفصحى؟

نعم، يوجد الكلام العامِّي، ويوجد اللَّحن والخطأ كثيرًا؛ لذلك، نَجِد من الكتب القديمة التي ألَّفها علماء المسلمين كتاب (ما تَلحَن فيه العامَّة)؛ أنا ذكرتُ هُنا حوالي ستة كتب فقط في إصلاح المنطق -إصلاح الخطأ الواقع فيه-.

الخطّابي المتقدِّم جدًّا كتَب كتابًا اسمه: (إصلاح غَلَط المحدِّثين)؛ الأخطاء اللغوية التي يقع فيها المحدِّثُون في رواية الحديث.

سأذكُر لكم بعض الكتب التي تعتني فقط بإصلاح المنطق: (ما تَلحَن فيه العامَّة) للكسائي، (إصلاح المنطق) لابن السّكيت، (الفصيح) لثعلب، (لحَن العَوام) للزّبيدي، (إصلاح غلَط المحدِّثين) للخطَّابي؛ هذه كلها كتب قديمة في إصلاح الأخطاء اللغوية.

عمومًا، هناك معلومات تقليدية في تاريخ اللغة، سأتجاوزها -أبو الأسود الدُّؤَلِي...-.

مِن أبرز أعلام اللغة العربية:

مَن أبرز أعلام اللغة العربية؟ مَن تعرفون مِن أسماء بارزة؟ أبو الأسود الدولي؛ أوَّل مَن أسَّس علم النحو، سيبويه، الجاحظ، الكسائي، الشافعي.

سيبويه:

سيبويه ماذا تعلَمُون عنه؟ هذا الكتاب: (مِن أعلام البَصرة: سيبويه)، بصراحة، هذا كُتَيِّب صغير -كما تَرون-، لكن تمنَّيتُ لو أنَّ الدراسات المُقدمة تجاه أعلام المسلمين تُقدَّم بهذا النموذج؛ صراحةً، نموذج علمي مُحترَم جدًّا. هذا كتاب مِن أفضل ما كُتِب عن سيبويه، في التحقيق العلمي؛ ليس في السَّرد العَدَدِي فقط؛ تحقيق علمي عن سِيرَته، للدكتور صاحب أبو جناح.

هناك شيء غريب جدًّا في سيبويه! تعرفون كلام العلماء عن كتابه (الكتاب)؟ سيبويه طبعًا كان في وقت مُتقدِّم جدًّا؛ كان في القرن الثاني الهجري، والعجيب أنَّه فارسي الأصل، ولم يُعَمّر؛ عاش قليلًا -يعني: عمره قليل حين مات-، لكن كتَب كتابًا -هذا الكتاب- صار له قيمة، إلى درجة أنَّ بعضهم قال: لا، لم يُؤَلِّفهُ سيبويه، وإنَّما اشترك في تأليفه اثنان وأربعون عالِمًا.

أنا إلى الآن لا أزال أتعجَّب مِن كلام المتخصصين الكبار -دَعُوكُم مِنَ المتخصِّصين الصغار-؛ لا أزال أتعجَّب إلى اليوم مِن كلامهم عن كتاب سيبويه!

الجرجاني، صاحبنا في (إعجاز القرآن)، لو تقرؤون ماذا كتَب عن كتاب سيبويه في (دلائل الإعجاز)، لَقُلتُم: لا، غير معقول! حقًّا؟!

كلام العلماء عن كتاب سيبويه كلام غير عادي! حتى صار -كما قلتُ- أوَّل ما كُتِب، وبعد وفاته صاروا يقولون: لا، ربّما سرَقه أو أخَذَه، أو يمكن أنه عمل شيئًا؛ أتى به مِن أحَد؛ لأن هذا شيء غير معتاد أبدًا!

قدَّم النحو كاملًا، بل اللُّغة كاملة، ولكن بطريقة حيَّة؛ يعني: النحو بمعانيه وليس النحو بمَبانِيه فقط.

تذكرون هذه النقطة تحديدًا في محاضرة (إعجاز القرآن)؟ لَمَّا ذكرتُ أنَّ الجرجاني كان يستدل بالنحو على إعجاز القرآن؛ النحو من جهة المعاني؛ أحَد يتذكر؟ كنت أقول هذه العبارة: إنَّ النحو له رُوح؛ هذه الرُّوح قُتِلَت، والجرجاني -اتِّباعًا لسيبويه- كان يأتي بهذه الرُّوح النحوية.

سأذكُر لكم شيئًا من كلام العلماء عن كتاب سيبويه: قال المازني: "ما أخلو في كل زمان مِن أُعجوبة في كتاب سيبويه؛ ولهذا سمّاه الناس: قرآن النحو"؛ ليس هو الذي سمّاه، بل سمَّاه الناس: قرآن النحو.

قال الجاحظ: "لم يَكتُب الناس في النحو كتابًا مثله، وجميع كُتب الناس عِيَال عليه"، ويقول: "أردتُ الخروج إلى محمد بن عبد الملك الزّيات وزير المعتصم، ففكرتُ في شيء أُهدِيه له، فلم أَجِد أشرَف مِن كتاب سيبويه".

المُبرِّد يقول: "لم يُعمَل كتاب في علم من العلوم مثل كتاب سيبويه، وذلك أنَّ الكتُب..."، إلى آخِر كلامه.

الأزهري صاحب (تهذيب اللغة) يقول: "نظرتُ في كتابه فرأيتُ فيه عِلمًا جَمًّا، ويُحكَى أنه تَخَرّق في كُمّ المازني بضع عشرة مرَّة"؛ المازني مِن علماء اللغة الكبار، كان يَحمِل كتاب سيبويه في كُمِّه دائمًا، إلى درجة أنَّ الكتاب تَخَرّق في كُمِّه بضعة عشر مرة؛ من كثرة ما يَحمِلُه معه ويفتحه ويقرأ فيه.

هذا كتاب سيبويه، وكما قلتُ لَكُم، هو أصلًا لم يُعمّر.

الإمام ابن كثير في (البداية والنهاية) –هذا ختام ما أقوله عن كتاب سيبويه– يقول: "لقد صنَّف في النحو كتابًا لا يُلحَق شَأوُه، وشرَحَه أئمة النُّحَاة بعده؛ فانغمروا في لُجَج بَحرِه، واستخرَجُوا مِن دُرَرِه، ولم يَبلُغوا إلى قَعرِه".

هذا كله عن سيبويه في كتابه (الكتاب).

هذا الكتاب الآن صار لا يُقرأ حتى مِنَ المتخصِّصين الكبار، صعب وكبير؛ أربع مجلدات أو خمس مجلدات.

تعجَّبتُ في سيرة ابن تيمية التي كتَبَها الإمام الذهبي؛ يقول: "وقد قرأ كتاب سيبويه حتى فَهِمَه وهو ابن بضع عشرةَ سنة"؛ يعني قبل أن يبلغ العشرين! ابن تيمية قرأ كتاب سيبويه هذا الذي فيه كل الكلام الصعب حتى فَهِمَه.

طبعًا –كما تعرفون–، ابن تيمية تناقَش مع أبي حيّان، وقال أنَّ كتاب سيبويه أيضًا فيه بعض الأخطاء؛ صارت مشكلة بينهم.

الكتاب له شُروحات؛ له شرح معاصر، له دراسات مستقلة؛ يعني: هناك كتاب عن كتاب سيبويه، وهكذا.

لكن، بصراحة، الذي يُرِيد أن يَبرُز في اللغة لا بُدّ أن يتخصَّص؛ اللغة بحر كبير، فبدءًا، بعد النحو، وبداية الصرف، مُرورًا بهذه الرسائل اللي تَزِيد اللغة عند الإنسان، ثم يذهب الإنسان إلى مثل كتاب سيبويه في النهاية.

عندنا أيضًا: الجاحظ، الكسائي، ابن جِنّي، ابن فارس؛ وقد مَررنا سريعًا على ابن فارس وشيءٍ مِن كُتبه؛ ذكرتُ لكم تقريبًا خمسة عشر كتابًا مِن كُتب ابن فارس مجموعةً هُنا، مع كتاب (الصاحبي) و(معجم مقاييس اللغة) صارت سبعة عشر؛ وسيبويه: تعريف مُختصَر.

نماذج من جمال اللُّغة العربية:

هذه الفقرة جميلة، لن تَملُّوا منها إن شاء الله؛ هي الرُّوح مِن جمال اللغة وبَهائها؛ هُنا، أكثر ما سأقوله الآن لن يكون مفهومًا -هذا العنصر ما سأذكُره فيه لن يكون مفهومًا-، ولكنه جميل، وهُنا تحديدًا سنَقُول: نتحدَّى أيّ لغة في التاريخ وفي العالَم أن تأتي بعُشر ما يمكن أن يُؤتَى به في اللغة العربية!

في كتاب (فقه اللغة وسِرّ العربية) للثعالبي شيء مُخِيف مِنَ الجمال حقيقةً! يأتي بكل حالة من أحوال البشر، بكل حالة من أحوال الحيوانات، بكل جزء من هذا الوُجود المنظور؛ ماذا يقول العرب فيه، بتفاصيله الدقيقة جدًّا! وسأذكُر لكم أمثلة كثيرة، حتى تُدرِكُوا شيئًا مِن هذا الموضوع:

مثلًا: في المطر، وتعرفون، العرب ليس عندهم شيء؛ فقط خيمة وإبل وغنم ومطر وزرع، والحمد لله رب العالمين، لكن العجيب أنَّك تَجِد في الأشياء النادرة تفاصيل كثيرة جدًّا!

دَعُونا نأتي بشيء دائمًا يَمُرّ عليه المطر والسحاب: ما الكلمات العربية التي يُعبَّر بها عن المطر والسحاب؟ وَائتُوا لي بأيّ لغة في العالَم تعرفونها، واستحضِرُوا ما يدل على المطر والسحاب مِن هذه اللغة: كم كلمةً في اللغة الإنجليزية أو الفارسية أو التركية أو الفرنسية أو الألمانية تدل على المطر والسحاب؟ تَصِل إلى ثلاثين؟ خمسة؟ أربعة؟ سبعة؟

١) وصف المطر باعتبار الأثر:

حسنًا، اسمعوا بماذا تُعَبِّر العرب عن المطر، ليس باعتبار نُزوله، بل باعتبار أثَره؛ اسم المطر باعتبار الأثَر، فيقول الثعالبي: "إذا أحيَا الأرضَ بعد موتها فهو الحياة، فإذا جاء عَقِيب المِحل أو عند الحاجة إليه فهو الغيث، فإذا دام مَع سُكون فهو الدِّيمة، والضرب فوق ذلك قليلًا، والهطل فوقه، فإذا زاد فهو الهتلان والهتان والتهتان، فإذا كان القطر صغارًا كأنه شَذر فهو القطقط، فإذا كانت مَطرةً ضعيفة فهي الرِهمة، فإذا كانت ليست بالكثيرة فهي الغيبة والحفشة والحشكة، فإذا كانت ضعيفة يَسِيرةً، فهي الذهاب والهَميمة، فإذا كان المطر مُستَمِرًّا فهو الودق؛ ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِ﴾، فإذا كان ضخم القطر شديد الوقع فهو الوابل؛ ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾، فإذا انبعَق بالماء فهو البعاق، فإذا كان يَروي كل شيءٍ فهو الجَود –هذا وارد في حديث البخاري؛ أنه حين استسقى النبي ﷺ بذاك الذي جاء وقال: "يا رسول الله، ادعُ الله لنا"، قال أنس: "فذكَر أنه دام المطر أُسبوعًا، كل شيء غمر مِنَ الجَود"؛ هذا هو الجَوْد، وليس الجُود–، فإذا كان عامًا، فهو الجدا، فإذا دام أيامًا لا يقلع فهو العين، فإذا كان مُسترسلًا سائلًا فهو المُرْثَعِنّ، فإذا كان كثير القطر فهو الغدق، فإذا كان شديدَ الوقع كثيرَ الصّوب فهو السحيفة، فإذا كان شديدًا كثيرًا فهو العز والعباب، فإذا جَرَف ما مَرَّ به فهو السحيقة، فإذا قشرت وجه الأرض فهي الساحية، فإذا أثَّرت في الأرض مِن شِدَّة وقعها فهي الحريصة، فإذا أصابَت القطعة مِنَ الأرض وأخطأت الأخرى فهي النُفضة، فإذا جاءت المطرة لما يأتي بعدها فهي الرصدة والعهاد نحوٌ منها، فإذا أتى المطر بعد المطر فهو الولي، فإذا رجع وتكرَّر فهو الرجُع؛ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾، فإذا تتابَع فهو اليعلولُ، فإذا جاءت المطرة دفعات فهي الشَّآبيب"؛ تَعرِفُون الشَّآبِيب؟ "صبّ الله عليه شآبيب رحمته"؛ هكذا يَصِير مُتقَطِّعًا؛ فالمفترَض أن نستعمل لفظًا آخَر.

هذه ألفاظ المطر من جهة تأثيره، وهناك ألفاظ كثيرة أخرى؛ مثلًا، ذكر في ترتيب المطر الضعيف؛ لاحظوا، الآن الألفاظ ليست لترتيب قوة المطر، فقط لترتيب قوة المطر الضعيف، واضح؟ يعني يوجد

مطر ضعيف، يوجد مطر متوسط، يوجد مطر شديد قوي، ويوجد مطر شديد جدًّا؛ الضعيف له مَراتِب؛ فيقول: "أخَفّ المطر وأضعُفه: الطَّلّ، ثم الرَّذاذ أقوى منه، ثم البغش والدّث، ومثله الرّك والرّهمة"؛ هذا الضعيف.

عندي أكثر مِنَ الذي ذكرتُه عن المطر في السحاب؛ ألفاظ مُعبِّرة عن السحاب: إذا كان صغيرًا، إذا كان بدأ يتجمَّع للتَّوّ، إذا بدأ يظهر لكنه لم يتجمَّع، إذا كان قِطَعًا مُتفَرِّقَة في السماء، إذا تراكَم بشكل مُعيَّن، إذا تراكَم بشكل مُعيَّن وصار لونه أسودًا، إذا تراكَم بشكل مُعيَّن وكان فيه ماء، إذا كان قريبًا، إلى آخره؛ كل واحد منها له لفظ في اللغة العربية، لا أُريد أن أَذكُر السحاب؛ لأنه طويل جدًّا، لا أُريد أن أُطِيل عليكم فيه، لكن سأَذكُر شيئًا آخَر.

٢) الكلمات المثلثة:

تعرفون مُثلَّث قُطرب؟ مُثلَّث برمودا؟ مَن يَعرِف مُثلَّث قُطرب؟ إيش معنى مُثلَّث قُطرب؟ تَرون في بعض كُتب شروح اللغة حينما يُبيّن التشكيل في كلمة –الذي يقرأ في كتب التراث– يقول: مُثلّثة، مُثناة، مُعجمة، منقوطة من الأسفل، من الأعلى، مُثناة؛ دائمًا في كتب الشروح القديمة، حينما يُميّز كلمةً يُميِّز تشكيلها بالكلام وليس بالحركات، حتى النقاط؛ وهذا كثير جدًّا في كتب الفقه والحديث وشروحات السُّنَّة وما إلى ذلك.

«**مُثلَّث**» **يعني**: **الكلمة التي بثلاث حركات**: مثل: سَلام وسُلام وسِلام، كَلام وكُلام وكِلام؛ أحيانًا تُطلَق بثلاث إطلاقات ويكون معناها واحدًا؛ مثلًا: إصبَع وأُصبع وإصبِـع، كلها صحيحة، وكلها تدل على الأصبع؛ هذا من اللغة، وأكثر مِن ذلك؛ يعني: إصبَع وأُصبع وإصبِـع فيها أكثر، لكن هناك كلمات لها ثلاثة معانٍ بتغيير حركة واحدة، وكل واحد منها يدل على معنى مُختلِف عن الآخَر. إلى هُنا، الأمر ليس عجيبًا جدًّا، لكن العجيب والجميل هو: أن يُنظَم هذا في قصيدة، فتُذكَر الكلمات

الثلاثة بما يتَّسِق مع قصيدة: بَيتان؛ كل بَيتَين فيهما ثلاث كلمات، وكل بَيتَين يَلِيهِما فيها شرح هذه الكلمات الثلاثة؛ يقول:

"إنَّ دُمــــــوعي غَمــــــــر   ولـــــيس عنــــدي غِمــــــر
فقلـــــــتُ يا ذا الغُمــــــــر   أقصِـــــر عــــــن التَّعتـــــبِ
بالفــــتح مـــــاء كثـــــرا   والكســــــر حقـــــد ســــترا
والضــــم شـــخص مـــا درى   شــــــــيئًا ولم يُجـــــــــرب
بـــــدا فحيَّــــا بالسَّـــــلام   رمــــى عــــذُولي بالسِّــــلام
أشـــــار نَجِـــوي بالسُّــــلام   بكفـــــــــه المخضـــــــــبِ
بالفـــــتح لفـــظ المبتـــدي   والكســـــر صـــخر جلمـــد
والضَّــــمّ عـــرق في اليـــد   قـــد جـــاء في قـــول النـــبي
تـــيم قلـــــبي بالكَـــــلام   وفي الحشــــا منـــه كِــــلام
فصـــــرتُ في أرض كُـــــلام   لكـــــــي أنال مَطلـــــــــبي
بالفـــــتح قـــــول يفهــــم   والكســــــر جـــــرح مـــــؤلم
والضَّـــــــم أرض تضـــــرم   مــــن شـــــدة التَّصـــــلب
ثبــــــت بأرض حَـــــــرَّة   معروفـــــــــة بالحِــــــــرة
فقلــــت يا ابــــن الحُـــــرة   إرث لِمَـــا قـــــد حــــلَّ بي
بالفـــــــتح للحجــــــــارة   والكســـــــــر للحـــــــــرارة
والضــــــم للمختــــــــارة   مــــن النِّســـــا في الحُجُــــب
جُــــد فـــــالأَدِيم حَلْــــــم   ومـــــا بقـــــي لي حِلْـــــم

وما هُما لي حُلم ... مُذ غِبت يا معذبي
بالفتح جلد نقبا ... والكسر عفو الأدبا
والضم في النوم هبا ... حلم كثير الكذب
حملت يوم السَّبت ... إذ جاء محذي السِّبت
على نبات السُّبت ... إذ جاء محذي السِّبت
بالفتح يوم وإذا ... كسرته فهو الحذا
والضم نبت وغذا ... إذا مشى في الربرب
خدد في يوم سَهام ... قلبي بأمثال السِهام
كالشمس ترمي بالسُهام ... بضوئها واللهب
بالفتح حر قويا ... والكسر سهم رميا
والضم نور وضيا ... للشمس عند المغرب
دعوت ربي دَعْوة ... لما أتى بالدِعوة
فقلت عندي دُعوة ... إن زرتني في رجب
بالفتح لله دعا ... والكسر في الأصل ادَّعى
والضم شيء صنعا ... للأكل عند الطرب
كأن ما بي لَمَّة ... مُذ شاب شعر اللِمة
وما بقي لي لُمة ... ولا نقي من نصب
بالفتح خوف الباس ... والكسر شعر الراس
والضم جمع الناس ... ما بين شيخ وصبي

لمـــــــا أصــــــاب مَســــــكي / فـــــاح عبــــير المِســــــك
فكـــــان منـــــه مُســـــكي / وراحـــــتي مـــــن تعـــــب
بالفــــتح ظهــــر الجلــــد / والكســــر طيــــب الهنــــد
والضــــم مــــا لا يبــــدي / مِــــن راحــــة المســــتوهب
مَلَـــت دمـــوعي حَجْـــري / وقـــــل فيـــــه حِجـــري
لـــو كنـــت كـــابن حُجـــر / لَضـــــــاق فيـــــــه أدبي
بالفــــتح حجــــر الرجــــل / والكســــر جمــــع العقــــل
والضــــم اســــم النقــــل / لرجــــــل منتســــــب"

إلى آخِره، ما ذكرتُها كُلَّها؛ هناك باقٍ، لكن هذا نموذج على الثراء اللغوي بتغيير حركة واحدة: كيف أنَّ المعاني تختلف وتتعدَّد وتتغيَّر؛ هذا كيف تأثيره على العقل والتفكير؟ ألا يُؤثِّر هذا في الدِّقَّة عند الإنسان؟ أليس كذلك؟ ألا يُؤثِّر في الحِسِّ النقدي لديك؟

نعم، يُؤثِّر في الحِسّ النقدي: هذه ليست بالفتح؛ بالفتح تدل على معنًى آخَر، بالضَّم كذا؛ يُنمي لديك الدِّقَّة والفواصل بين الأشياء.

القصيدة موجودة ومُسجَّلة في اليوتيوب، يمكن أن تُحفَظ بسهولة، في يومين، ثلاثة أيام، أربعة أيام، شهر، شهرين –الشيخ يمزح مع الطلاب–، لا؛ والله سهلة ولطيفة.

٣) أسماء الصغار من الأشياء:

قال الثعالبي: "فصل في تفصيل الصّغار: الحَصَى صِغَارُ الحِجارَةِ، الفَسِيل صِغَارُ الشَّجرِ، الأَشَاءُ صِغَارُ النَخْلِ، الفَرْشُ صِغَارُ الإبِلِ، وَقَدْ نَطق بِهِ القرآن: ﴿وَمِنَ الأَنعامِ حَمولَةً وَفرشًا﴾، النَّقَدُ صِغَارُ الغَنَمِ، الحَفَّانُ صِغَارُ النَّعام، عن الأصْمعِيّ، الحَبَلَّق صِغَارُ المعِزِ، عن اللَّيْثِ، البَهْمُ صِغَارُ أولادِ الضأنِ والمِعزَ،

الدَّرْدَقُ صِغَارُ النَّاسِ والإبِلِ، الحَشَراتُ صِغَار دَوابِّ الأرْضِ، الدُّخَّلُ صِغَار الطَيْرِ -«الدَّخل» هذه مُستعمَلة عندنا؛ أهل القصيم يُحبون صيد الدَّخل؛ صغار العصافير-، الغَوغاءُ صِغَارُ الجَرَادِ، الذَّرُ صِغَارُ النَّمْلِ، الزَّغَبُ صِغَارُ رِيشِ الطَّيْرِ، القِطْقِطُ صِغارُ المِطَرِ، الوقَش والوقَضُ صِغَارُ الحَطَب الّتي تُشيَّع بِهَا النَّارُ، اللَّمَمُ صِغَارُ الذُّنُوبِ، وقدْ نَطَقَ بِهِ القُرآن، الضَّغَابِيسُ صِغَارُ القِثَّاءِ"، وهذا وارِد في الحديث، في البخاري؛ إيش هو؟ «الضغابيس»: صغار القِثَّاء، القِثَّاء شكلُها مثل الخيار، لكنها طويلة -لا أعرِف لماذا لم تَعُد موجودة عندنا؛ وأنا صغير، أتذكَّر أنها كانت قُدامنا، جميلة، لكني لم أرَها منذ زمن-؛ في الحديث في البخاري، الرسول ﷺ يَذكُر عن أهل الكبائر مِنَ الموحِّدين حين يخرجون من النار، يدخلون في نهر قبل الجنة، فينبتون كأنهم الضغابيس؛ يعني: ينبتون كما تنبت صغار القثاء، إلى آخِره.

٤) أسماء الأوائل من الأشياء:

في الأوائل: "الصُّبْحُ أوَّلُ النَّهارِ، الغَسَقُ أوَّلُ اللَّيْلِ، الْوَسْمِيُّ أوَّلُ المِطرِ، البَارِضُ أوَّلُ النَّبْتِ، اللُّعَاعُ أوَّلُ الزَرْعِ، اللِّبَأُ أوَّلُ اللَّبَنِ، السُّلافُ أوَّلُ العَصِيرِ، البَاكُورَةُ أوَّلُ الفَاكِهَة، البِكْرُ أوَّلُ الْوَلَدِ، الطَّلِيعَةُ أوَّلُ الجَيْشِ، النّهَلُ أوَّلُ الشُرْب، النَّشْوَةُ أوَّلُ السُّكْرِ، الوَخْطُ أوَّلُ الشَّيْبِ، النُّعَاسُ أوَّلُ النَّوْم، الحَافِرَةُ أوَّلُ الأَمْرِ، وهيَ مِن قَولِ الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾؛ أي: في أوَّل أمرنا، إلى آخره.

الفَرَط ورَد في الحديث الصحيح؛ وَرَدت أحاديث مُتعَدِّدة في البخاري: "أنا فَرَطُكُمْ علَى الحَوْضِ"؛ «الفرط»: أوَّل الوَرِاد، «الزُّلف»: طرف الليل؛ أول ساعات الليل، واحدتها: زلفى؛ ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾، «الزَّفِير»: أوَّل صوت الحمار، و«الشَّهِيق»: آخِرُه، «النّقبة»: أوَّل ما يظهر من الجرف، «العلقة»: أول ثوب يُتَّخَذ للصبي، «الاستهلال»: أوَّل صِيَاح المولود، «العقي»: أول ما يخرج من بطنه، «النبط»: أول ما يظهر من ماء البئر إذا حُفِرت، «الرَّسّ» و«الرَّسِيس»: أول ما يأخذ من الحمى، «الفرع»: أول ما تُنتِجه الناقة، إلى آخِره.

هذا كتاب كامل بهذه الطريقة: ترتيب أوائل الأشياء، ترتيب أواخرها، ترتيب صغارها؛ يتناول الإنسان من مراحل عمره، ساعات الليل مُقسَّمةً؛ نحن نعرف: الساعة واحدة، اثنتان، ثلاث، أربع؛ هناك: كل قِسم من الليل له معنى، ولو تلاحظون، في القرآن، كم لفظًا جاء في القرآن مُتعَلِّقًا بالليل؟ كثير؛ ليل ومساء؛ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾، ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾، ﴿وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾، إلى آخره.

هذا إذن شيء ممَّا أردتُ نَقلَه مِن جمال اللغة، تُريدونني أن أزيدكم أم يكفي؟

كيف نتحدث العربية:

سؤال أحد الطلاب: شيخنا، العرب عندما كانوا يتكلمون، هذه لغتهم الطبيعية؟

إجابة الشيخ: هُنا نأتي للعنصر قبل الأخير، وهو: كيف نتحدَّث العربية؟

المصيبة والكارثة أنَّ طريقة نُطق العرب بالفصحى لم يَعرِفها أكثر الناس إلَّا مِن خلال المسلسلات التاريخية: "ماذا لديكَ يا حنظلة؟"، فقط، هذه هي اللغة العربية! لغة تَشعُر أنك تحتاج أن تتجهَّز وتَجلِس في مكان حتى تقول: "ماذا لديك أيها الرجل؟"؛ يعني: لا تَشعُر سهلة، بينما في الحقيقة، اللغة العربية ليست بهذا التعقيد.

كيف كان العرب يتحدَّثُون الفصحى؟ هل هي بهذه الطريقة؟ تخيَّلُوا مثلًا رجلًا مع زوجته يتكلم معها بكلام جميل، يتكلم بهذا الأسلوب، خَطابةً هكذا؟! ليس معقولًا!

الفُصحى لها عند العرب درجات، كما أنَّ تلاوة القرآن لها درجات غير القراءات؛ يعني: عندما تقرأ قراءة تحقيق يختلف الأمر عن لَمَّا تقرأ القراءة السريعة، أليس كذلك؟ بحسب المقام طبعًا؛ تعرفون، في التراويح -أحيانًا- شاع مُتأخِّرًا أنَّ الإنسان يقرأ بالقراءة السريعة في القيام، في التَّهجُّد؛ يعني أن الإنسان عندما يقرأ قراءةً بطيئةً فهذه لها مقام، وتلك لها مقام؛ أقصد: هذا مقام وهذا آخَر؛ ليس المقام الصوتي.

اللغة العربية الفصحى كذلك: هناك لغة عربية فُصحى كما عبَّر عنها بعض العلماء: أنهم يَمُرُّون على الإعراب مُرورًا كأنه لغة التَّسكِين؛ يعني: دُون تحقيق الإعراب تحقيقًا كاملًا بالفتحة والضّمة والكسرة، ما يَلحَنُون؛ يعني: ما يرفع المنصوب، ولا ينصب المرفوع، ولكن ليس بالضرورة أن يُحقِّق الحركات والمخارِج؛ اختلاس الكلام والإعراب؛ فأنتَ تسمَع الكلمة فتقول: هل رفَعها أم سكنها؟ ما تدري، كأنه ليس هناك فَرق، واضح؟

دَعُوني أَذكُر لكم تجربة شخصية: الآن في إلقائي هذه المحاضَرة مِن أوَّلِها إلى آخِرها -وكذلك المحاضرات السابقة-، أنا أتحدَّث بأيّ لغة؟ أنا أتحدث بالفُصحى؛ مقدار حديثي بالعامية في المحاضرات قليل جدًّا جدًّا؛ اليوم أتحدث منذ ساعة ونصف، ربما الكلمات العامية التي تكلمتُ بها ما تتجاوز عشرة، ربما.

أَسألُكم سؤالًا صادقًا، وأَجِيبُوا كما تَرون: هل تَرون أنها لغة مُتكلَّفة ثقيلة؟ أم تَرون أنها سهلة وقريبة؟ دَعُوكُم من الكلام الصعب الذي قرأتُه؛ نَفس حديثي، ألا تَرون أنه قريب من العامية؟

إجابة أحد الطلاب: مُقارنةً بلغة كلام المسلسلات، هذه اللغة ليست لغة الخِطاب.

تعقيب الشيخ: بالضبط؛ انسِيابِيَّة!

قبل سبع سنوات، بدأتُ بتسجيل مقاطع موجودة إلى الآن على اليوتيوب، كانت لي وجهة نظر أن أُسَجِّلها بالعامية؛ لأجل أنَّ الشباب مُخاطَبُون بها، والشباب لا يفهمون اللغة العربية الفصحى، وأنا كان تَصَوُّري أنِّي لو تحدَّثتُ الفصحى، سأتحدَّث بتَكلُّف وصعوبة وما إلى ذلك، وبالتالي، تُخَفِّف تَكلُّم اللغة حتى يفهَمك الشباب.

الآن نَدمتُ والله؛ لأني وجدتُ أنَّني الآن منذ سنة كاملة تقريبًا، لو تلاحظون في قناتي، تقريبًا هذه السنة الأخيرة، ربما هناك أربعون مقطعًا أو أكثر، تقريبًا ما لا يَقِلّ عن خمسة وتسعين في المائة من مضامينها باللغة العربية الفصحى.

استفدتُ هذه الفائدة وانتبهتُ لها حين خالطتُ غير العرب؛ وجدتُ أنَّ مَن يُتابِع ويُشاهِد ليس بالضرورة أن يكون عربي الأصل، وبالتالي، أنت تُغلِق أمام شريحة واسعة من الجمهور أن يُتابع أو يُشاهد لأجل أنَّك تتحدث بالعامية؛ وفي المقابل، يمكن الحديث بالفصحى كما نتحدث الآن: كأنه يتحدث العامية؛ كل العبارات التي أقولها فصيحة، قليل جدًّا منها عامي.

ثم على النظام الذي ذكرتُ، الذي ذكَره كثير من اللغويين، وهو أنه لا يجب تحقيق الإعراب تحقيقًا تامًّا، لكن لا تُخطِئ؛ يعني: لا تجعَل المرفوع منصوبًا والمنصوب مرفوعًا، لا تجعَل المجرور مرفوعًا، لكن يمكن أن تُسكن دُون تَكلُّف، حتى العبارات –نفس العبارات–، طريقة الأداء يمكن أن تُؤدِّي اللغة العربية دون تَكلُّف ودون أخطاء فاحشة على الأقل؛ فهذا –في الحقيقة– ممَّا يُسهل علينا أن نتحدث بالفصحى. لكن إذا نحن تكلمنا العربية الفصحى وكأنه مسلسل تاريخي، فحقيقةً، لن نستطيع أن نتحدث بها بيننا، لن نستطيع؛ مُتكلَّفة جدًّا.

أين المشكلة في العامية؟ طبعًا ليست كل اللهجات العامية على درجة واحدة؛ مثلًا، العامية المغربية صعبة جدًّا، وأنا شخصيًّا حقيقةً لا أفهم كثيرًا منها، وأظن أنَّ كثيرًا من العرب لا يفهمون؛ خاصة المغاربة، تونس أقل بقليل، الجزائر مثل المغرب تقريبًا؛ بالنسبة لنا، لا نفهم العامية؛ مثلًا، الشيخ الكملي إذا تكلم بالفصحى، ما شاء الله، إذا بدأ يشرح بالمغربي، فقط يضحك، ولا نعرف إيش يقول. مثلًا، العامية في بعض مناطق الجزيرة العربية –مثلًا– تُعتبَر أخَفّ بكثير، وفيها كلمات فصيحة، بل وفيها إعرابات –فيها تحقيق للإعراب–؛ مثلًا، فعل الأمر بماذا يتعامل معه؟ طبعًا –كما تعرفون– هو مُختلَف

فيه: هل هو مُعرَب أم مَبنِي؟ فمَن يقول مُعرَب يقول: مجزوم، ومَن يقول مَبني يقول: يُبنَى على ما يُجزم به مُضارِعُه؛ مثلًا: امشي، ما هو مضارعه؟ يَمشِي، ما الذي يُجزَم به المضارع؟ بحذف حرف العِلَّة، صح؟ إذن، الأمر مَبنِي على حذف حرف العِلَّة. نحن لدينا في بعض المناطق -في مناطق الجزيرة العربية-، في بعض المدن، هناك مَن يحذفون حرف العلة مِن فعل الأمر: امش، ادع؛ موجودة في بعض لهجات البادية: امش، ما يقولون: امشي؛ امش هذه لغة عربية فصيحة! أقصد أنَّ حرف العلة محذوف: ادع -مثلًا-، ارق.

عمومًا، **خلاصة القول**: إنَّنا إذا تحدثنا بالفصحى بهذا الحديث السهل القريب غير المتكلِّف، تكون الفصحى سهلة، تكون الفصحى جميلة، تكون الفصحى قابلة للتطبيق، وضربتُ لكم بعض الأمثلة، وإذا تكلمنا بالفصحى كالمسلسلات التاريخية، فلن نُطَبِّقَها على أرض الواقع؛ لأنها آتِيَة من عالَم آخَر وبطريقة أخرى، وتَصَوُّر العرب على أنهم كانوا يتكلمون بهذه الطريقة في كل شيء هذا غير صحيح.

لِنُحاوِل أن نتجنَّب العامية، على الأقل في الكتابة؛ نُحافِظ على الفصحى قدر المستطاع، لأن التغيير في الكتابة أكثر إشكالًا من التغيير في النطق؛ النطق شيء عام وسائد ومُتداوَل، لكن الكتابة، لو أبقينا على مكانة اللغة على الأقل في الكتابة -طبعًا أحيانًا يكون الإنسان مُستعجِلًا ومُضطرًّا، لا بأس، لكن بشكل عام-؛ ليحرص الإنسان على أن يكتب باللغة الفصحى السهلة القريبة.

ذكر أبو حيان التوحيدي، تعرفونه طبعًا، صح؟ أبو حيان التوحيدي ما هي كتبه؟ ليس أبا حيان صاحب تفسير (البحر المحيط)؛ أبو حيان التوحيدي وأبو حيان كلاهما لغويان، لكن أبا حيان الأندلسي صاحب (البحر المحيط) لغوي صاحب صنعة، لكن هناك أبو حيان التوحيدي: أديب، لغوي أديب وفيلسوف -مُشتَغِل بشيء من الفلسفة-.

تعرفون كتاب (الإمتاع والمؤانَسة)؟ كتاب (الإمتاع والمؤانَسة) لأبي حيان التوحيدي هو -بالمناسبة- مِن كتب اللغة التي تَزِيد في قضية البلاغة والتعابير؛ هذا أبو حيان له كتاب اسمه (البصائر والذخائر)، ذكر فيه عن أبي عمرو بن العلاء قال: "كلام العرب: الدَّرج"؛ يعني: الكلام السَّلِس السهل السريع؛ ليس الكلام المتكلَّف والمتصنَّع.

وذكَر عن ابن أبي إسحاق قال: "العرب ترفرف على الإعراب ولا تتفَيهق به"، المعنى واضح؟ يعني: تَمرّ على الإعراب مُرورًا مِن أعلى، ولا تفيهق به؛ لا تتصنَّع وتتكلَّف في استعماله.

هناك مقام يجب أن يُحافَظ فيه على جزالة اللغة وعلى هيبتها وتحقيقها التام، في مقامات مثل الاستعمال اليومي، ليس معقولًا وأنا أُريد أن آتي بأشياء من متاع البيت أو أتحدَّث مع أهلي -إذا أردتُ أن أتحدث الفصحى- أن أتحدث بنفس المقام الذي يُتحدَّث به في خطبة الجمعة! أو بنفس المقام الذي أُؤَلِّف به وأكتُب؛ هذا له مقام وهذا له مقام، فربما يُؤخَذ على البعض أنه يكون كل المقام هو هذا المقام التسهيلي، لكن المحافظة على المقامات والفصل بينها هو من الأشياء التي نحتاجها.

نحن اليوم أيضًا لا نريد أن نُحقِّق نتيجة بعيدة عن الواقع؛ يعني: الحديث بالفصحى على أرض الواقع اليوم صعب بالنسبة لكثير من الناس، وصعب أن تُغيّر العادات، لكن على الأقل، يمكنك أن تَردِم شيئًا من الفَجوات؛ بحيث تُقرِّب الناس من اللغة، فأنتَ حين تقول -مثلًا-: الكتابة وليس الكلام؛ على الأقل أنتَ أَتحتَ مجالًا، حين تقول: الكلام بالفصحى ليس شيئًا مُخيفًا؛ هو أمر عادي؛ يمكن أن أتكلم بأريحية وأُعبِّر وأعيش مع الكلمة وأنا أتحدَّث؛ بفضل الله، بالنسبة لي، لم يَحصُل أبدًا أن أتكلَّف هذا؛ صار عاديًّا جدًّا أن أتحدث بالفصحى وأَعيش مع الكلمة دون إشكال؛ فيمكن أن نتحدث بهذه اللغة السهلة القريبة، على الأقل من باب التدريب ومن باب التحبيب.

خُطة مُقترَحة لدراسة اللغة:

آخر نقطة: خُطة مُقترَحة لدراسة اللغة:

أولًا: علم النحو:

أولًا: بالنسبة لعلم النحو، علم واجب عليك أن تَأخُذ شيئًا منه، لا يوجد خيار آخَر؛ لا بد أن يأخذ الإنسان شيئًا من النحو.

١) المرحلة الأولى: كتاب (الآجرومية) -كما تعرفون- هو الكتاب الأشهر المختصَر الذي احتفى به الناس كثيرًا.

هذا شرح لـ(الآجرومية) لمحمد محي الدين عبد الحميد، شرح جيد؛ لكن الشروحات المقدَّمة عليها لا تُحصَى، خاصةً شروحات المعاصرين، ولكن قد يُؤثِّر كثيرًا ممَّن تَأخُذ الشرح؛ لأنَّ (الآجرومية) بداية.

أنا شرحت (الآجرومية) مرَّتَين، كنتُ أحرص في الشرح على القضية التي دائمًا أُكرِّرُها، وهي: الخارطة المعرفية؛ النحو بشكل عام، و(الآجرومية) بشكل خاص، مُرتَّبة ترتيبًا على شكل خارطة معرفية؛ سهل جدًّا جدًّا، وإذا رَسمتَ الخارطة المعرفية لـ(الآجرومية)، فيمكنك أن تأخذ الدروس بتفصيل وبسلاسة، وتتفرَّع في رأسك مُرتَّبةً تامةً؛ فاحرصوا على قضية ترتيب الخارطة المعرفية، هذه قضية في غاية الأهمية.

شرحي ليس موجودًا، لكن هناك شروحات متعددة كثيرة؛ هناك -مثلًا- شرح الشيخ ابن عثيمين لـ(الآجرومية)، رائع جدًّا جدًّا؛ ستة عشر شريطًا. أَذكُر أَنِّي فرَّغتُ هذه الأشرطة قديمًا، كانت جميلةً صراحةً؛ فيها تمارين.

من الشروحات الجيدة لها المطبوعة الآن:

١. (أَيسَر الشروح على الآجرومية)، كتاب مطبوع مُتداوَل موجود.

٢. وهناك: (التحفة السّنية)، هذا كتاب مُتوفِّر أيضًا.

وبالنسبة للمقاطع: هناك –مثلًا– الدكتور سليمان العيوني، له شرح على (الآجرومية).

هذا كبداية، الخيارات كثيرة، لكن أفضل شي في النحو في البدايات: أن تأخذه سماعًا.

٢) المرحلة الثانية: نحن سنأخذ ثلاثة كتب في النحو –هذه البداية–، ثم أحد الكتابين لنفس المؤلِّف؛ إمَّا هذا وإمَّا هذا:

١. (شرح شذور الذهب).

٢. (شرح قطر الندى).

أحَد هذين الكتابين هو المرحلة الثانية في النحو.

(شرح شذور الذهب) لابن هشام و(شرح قطر الندى) لابن هشام، وعليه حاشية أيضًا؛ لأنَّه نفسه –(قطر الندى)– شُرِح من ابن هشام ومن غيره. هو ليس ابن هشام صاحب السِّيرة؛ ابن هشام اللغوي المعروف.

هذه الخطوة الثانية، إلى هذه الخطوة يمكن أن تكتفي كطالب علم لا يتخصَّص في اللغة؛ يمكن أن تكتفي بالنحو بالمرحلة الثانية.

٣) المرحلة الثالثة: (ألفية ابن مالك) وشرحها لابن عقيل.

هذه ثلاث خطوات للتَّسلسُل في علم النحو.

ثانيًا: الصرف:

أمَّا الصرف، فَمِنَ الأفضل أن يُؤخَذ أيضًا سماعًا وليس كتابًا، وبعد ذلك يُؤخَذ أحد هذه الكتب –أو معه–:

١. هذا كتاب (الأساس في الصرف)، كتاب سهل للمولى مُلَّا عبد الله، طبعًا الكتاب مُرتَّب ترتيبًا سهلًا جدًّا.

٢. وبعده يُؤخَذ كتاب (التطبيق الصرفي) لعبده الراجحي؛ يعني في الصرف عندنا كتابان.

٣. بالنسبة للسَّماع، أظن الدكتور العيوني نفسه عنده في الصرف مادة، يمكن أن تُؤخَذ، وكذلك الدكتور الشنقيطي له شرح (متن البناء في الصرف)؛ إحدى هاتين المادتين، هذا في الصرف.

ثالثًا: البلاغة:

في البلاغة، أهم شيء: ما نتوسَّع في دراسة المتون البلاغية؛ البلاغة تحتاج ممارسة بالطريقة التي قلتُ لكم، لكن أيضًا، **عندنا أحَد هذين الكتابين في البلاغة**:

١. (البلاغة الميسَّرة) للدكتور عبد العزيز الحربي.

٢. (زُبدة البلاغة) للدكتور محمد نصيف.

٣. وكذلك يوجد متن مُختصَر جدًّا في البلاغة للطاهر بن عاشور –صاحب (التحرير والتنوير)–، مُختصَر جدًّا: كتاب (مُوجز البلاغة).

أحَد هذه المتون الثلاثة في البلاغة، ثم بعد ذلك نبدأ في القراءة للبُلَغاء.

مُداخَلة أحَد الطلاب: هناك مجموعة محاضرات للشيخ سعيد الكملي في البلاغة.

تعقيب الشيخ: لا أعرفها، لكن هو جيد طبعًا.

في البلاغة، واحدة من هذه الثلاثة -المتون-، ثم في المجال التطبيقي، نقرأ ونزداد من الرصيد اللغوي والشعري ومن التطبيقات البلاغية.

رابعًا: الشعر:

بالنسبة للشعر، الشعر طبعًا مهم جدًّا جدًّا، والذي لا يستطيع أن يحفظ، فعلى الأقل يقرأ كثيرًا، وهناك كتب قدَّمَت الشعر بطريقة رائعة جدًّا، بطريقة موضوعية لطيفة جدًّا.

١) كتاب (العود الهندي):

يوجد كتب خاصة بالشعر، ما تَذكُر إلَّا شعرًا، لا أعتقد أنها سهلة بالنسبة للشخص غير المتخصِّص، لكن هناك كتب ضمَّت الشرح مع الترتيب، ومِن أجملها على الإطلاق وألطفها: هذا الكتاب؛ هذا الكتاب لطيف جدًّا ومفيد، ومهم وغالٍ: (العود الهندي).

ما فكرة هذا الكتاب؟ هذا الكتاب أنصَح به جدًّا، حتى في جلسات القراءة؛ يمكن أن تُفتتَح به مَجالِس أدبية؛ طريقته: مَجالِس أدبية، كل مَجلِس عنوانه بيت من أبيات المتنبي، ويذكر البيت كعنوان للمجلس، ثم يأتي بالأبيات الشَّواهِد من نفس شعر المتنبي التي تَخدِم هذا المعنى، ومن الشعر العرب، مع شرح بعض الأشياء؛ هذا الكتاب رائع جدًّا.

مثلًا، هذا مجلس عنوانه:

"وإلَّا تَمُــــت تحــــت السّـــيوف مكرمًـــا   تَمُــت وتُقاســـي الـــذُّل غـــير مكـــرم"

جميل! ما هو المجلس؟ يقول: يَحُثّ على الإقدام لطلب العِزّ، ويقول: إنَّ الموت لا بد منه؛ فإمَّا تحت بارقة السيوف على الشَّرَف، وإمَّا حتف الأنف على الذُّل والمهانة؛ ومازالَت الشعراء تُشجِّع الجبان بمثل هذا، وأحسَن الخُلق قولًا فيه: الخوارج.

قال قطري بن الفُجاءة:

"أَقـــولُ لَهـــا وَقَـــد طـــارَت شَـــعاعًا مِـــنَ الأَبطـــالِ وَيحَـــكَ لَـــن تُراعـــي"

وقال:

"لا يَـــركَنَنَّ أَحَـــدٌ إِلى الإِحجـــامِ يَـــومَ الـــوَغى مُتَخَوِّفًـــا لِحَمـــامِ

فَلَقَـــد أُراني لِلرِّمـــاحِ دَريئَـــةً مِـــن عَـــن يَميـــني مَـــرَّةً وَأَمـــامي"

ثم يقول: "وقَدِم أحَد العرب على معاوية في يوم حفله"، إلى آخِره.

وقال عبد الملك بن مروان: "جَزِع ثلاثة مِن فُرسان العرب ثُم صَبرُوا، وَهُم: عمرو بن مَعد يكرِب في قوله:

فَجَاشَـــت إِليَّ الـــنفسُ أوَّلَ مـــرّة فَـــرُدَّت علـــى مَكروههـــا فاســـتَقَرَّتِ

وابن الإطنابة في قوله: وقَولي كَلَّما جَشأت وجاشَت، وعنترة في قوله:

إِذْ يَتَّقُـــونَ بـــيَ الأَسِـــنَّةَ لم أَخِـــمْ عَنْـــها ولَكـــنِّي تَضَـــايَقَ مُقْدَمـــي

وأمَّا ثلاثة فلم يجزعوا أصلًا، وَهُم: قيس بن الخطيب في قوله:

وإِنيِّ في الحـــرب الضَّـــرُوسِ مُوكَّـــلٌ بإِقْـــدامِ نَفْـــسٍ مـــا أُرِيـــدُ بَقاءهـــا

وعامر بن الطّفيل في قوله:

أقـــول لنفســـي مـــا أريـــد بقاءهـــا أقلّـــي احتراسًـــا أنَّـــنِي غـــير مُـــدبِرِ

والعباس بن مرداس في قوله:

أَشُـــدَّ عَلـــى الكَتيبَـــةِ لا أُبالي أَحتَفـــي كـــانَ فيهـــا أَم سِـــواها

ومِمَّا يُروَى للأعوج السُّلمي قوله: في إذا ما فرضنا"، إلى أخِره.

وقد سبق في غير هذا المجلس قول أبي تمام، وهو من قول الأعرابية، ويروى بضعف أنه كان مكتوبًا على هذه الثقار -هذا البيت-:

"فِي الجُـــبنِ عـــارٌ وَفِي الإِقـــدامِ مَكرُمَـــة   والمـــَرءِ بالجُـــبنِ لَا يَنجـــو مـــن القَـــدَرِ

وقال الحصين بن الحُمام:

تَأَخَّـــرتُ أَســـتَبقي الحَيـــاةَ فَلَـــم أَجِـــد   لِنَفســـــي حَيـــاةً مِثـــلَ أَن أَتَقَـــدَّما

وسببه أنَّ بَنِي جوش من غطفان" -سبب القصة؛ سبب البيت-، ويتبع الأبيات.

"وقيل للمُهلّب"، ويأتي بأبيات، ومازالت العرب تمادح بالقتل وتتهاجى بالموت على الفراش؛ فتقول: فلان مات عضةً، ومات حتف أنفه، إلى آخره.

هذا كله مجلس واحد؛ ماذا فيه؟ أبيات متشابهة، قصص من العرب، جميل رائع جدًّا لا يُملّ من هذا الكتاب صراحةً؛ ثم مُقسَّم على مجالس، رائع جدًّا.

مثل هذا الكتاب يُنمي رصيدًا لغويًّا كبيرًا عند الإنسان، واجعل لك دفترًا، اكتُب فيه الأبيات المنتخَبة واحفَظها؛ احفَظُوا يا جماعة! احفَظُوا هذه القصائد الجميلة.

أقول لكم فقط قصيدةً واحدةً: أبو تمام يَرثِي محمد بن حميد الطوسي، من الأمراء الشجعان، قُتل في معركة؛ يقول:

"كَـــذا فَليَجِـــلَّ الخَطـــبُ وَليَفـــدَحِ الأَمـــرُ   فَلَـــيسَ لِعَـــينٍ لَم يَفِـــض ماؤُهـــا عُـــذرُ

تُوُفِّيَـــــتِ الآمـــــالُ بَعـــــدَ مُحَمَّـــــدٍ   وَأَصـــبَحَ في شُـــغلٍ عَـــنِ السَّـــفَرِ السَّـــفرُ

وَمـــا كـــانَ إِلَّا مـــالَ مَـــن قَـــلَّ مالُـــهُ   وَذُخـــرًا لِمَـــن أَمســـى وَلَـــيسَ لَـــهُ ذُخـــرُ

وَمـــا كـــانَ يَـــدري مُجتَـــدي جـــود كَفِّـــهِ   إِذا مـــا اِســـتَهَلَّت هَـــل خُلِـــقَ العُســـرُ

وَقَــد كــانَ فَــوتُ المِــوتِ سَــهلًا فَــرَدَّهُ إِلَيـــهِ الحِفـــاظُ المُـــرُّ وَالخُلُـــقُ الــوَعرُ

وَنَفــــسٌ تَخـــافُ العـــارَ حَـــتّى كَأَنَّـــهُ هُــوَ الكُفـرُ يَـومَ الـرَّوعِ أَو دونَـهُ الكُفـرُ

فَأَثبَـــتَ في مُســـتَنقَعِ المــوتِ رِجلَـــهُ وَقــالَ لَهــا مِــن تَحــتِ أَخمُصِــكِ الحَشــرُ

مَضــى طــاهِرَ الأَثــوابِ لَم تَبــقَ رَوضَــةٌ غَــداةَ ثَــوى إِلّا اِشــتَهَت أَنَّهــا قَــبرُ

كــأنَّ بـــني نبهـــانَ يـــومَ وفاتِـــهِ نجــومُ سمــاءٍ خــرَّ مــن بينِهــا البــدرُ"

هذا أبو تمام يرثي محمد ابن حُميد؛ طبعًا القصيدة هُنا تسمعها أول مرة، لكن عندما تتأمَّل فيها، تجِد أول شيء: فيها ثراء لغوي؛ فيها معانٍ رهيبة جميلة لطيفة جدًّا.

وكان كل شي يتغيّر بالقصيدة؛ هل تعرفون الذي صُلِب وكَفَّنه الشاعر بالقصيدة؟ حتى قيل أنَّ مَن صَلَبَه تمنَّى أنه هو المصلوب؛ (عُلُوّ في الحياة وفي الممات)؛ لَمَّا صَلَبَه قال له:

"عُلُــــوّ في الحيــــاة وفي الممــــات لَحَـــقٌّ أنـــتَ إحـــدى المعجـــزات

مـــددتَ يَـــديك نَحـــوَهُم احتفـــاءً كَمـــــــدِّهما إلـــــيهم بالهِبــــات

كأنـــك واقـــف فـــيهم خطيبًـــا وكلهـــــم وقـــــوف للصـــــلاة

كــأنَّ النـــاس حولـــك حـــين قـــاموا وُفــــود نَــــداك أيام الصِّـــــلات

ولَمَّـــا ضـــاق بطـــن الأرض عـــن أن يُـــوَارُوا فيــــه تلــــك المَــــكرُمات

أصـــاروا الجـــو قـــبرَك واستعاضـــوا عـــن الأكفـــان ثـــوبَ السَّـــافيات"

وكما تعرفون، يُقال عن الميت: "سَقَى الله تُربَتَه"، صح؟ سَقَى الله قبرَه؛ فهو يقول له:

"ومـــا لـــك تُربَـــة فـــأَقُول تُســـقَى لأنَّـــك نُصـــبُ هَطْـــل الهـــاطلات"

شيء فخم!

طبعًا الإنسان يبدأ بحفظ القصائد المعروفة والمشهورة، مثل قصيدة أبي تمام في فتح عَمُّورية؛ تعرفون أنَّ المعتصم غزا عَمُّورية وفَتحَها، لكن قبل أن يذهب بالجيش، قال له المَنجِّمُون: لا تذهَب، لأننا قرأنا في النجوم فوجدنا أنَّك سَتُهزَم؛ فخالَفَهُم ومضى وفتح عَمُّورية؛ فقال أبو تمام:

"السَّـــيفُ أَصـــدَقُ أَنبـــاءً مِـــنَ الكُتُـــبِ ... في حَـــدِّهِ الحَـــدُّ بَـــينَ الجِـــدِّ وَاللَّعِـــبِ"

-«الكتب» هُنا: كُتب المَنجّمين-.

بِـــيضُ الصَّـــفائِحِ لا سُـــودُ الصَّـــحائِفِ ... في مُتـــونِهِنَّ جَـــلاءُ الشَـــكِّ وَالرِّيَـــبِ

وَالعِلـــمُ في شُـــهُبِ الأَرمـــاحِ لامِعَـــةً ... بَـــينَ الخَميسَـــينِ لا في السَـــبعَةِ الشُـــهُبِ"

إلى أن يقول -وأجمل بيتَين فيها-، لكن مَن لم يفهمها لا يَقُل لي أن أُعِيدها؛ هو يتكلم الآن عن يوم الفتح؛ يقول:

فـإِن يَكـن بَـينَ صُـروفِ الـدَهرِ مِـن نَسَـبِ ... مَوصـــولَةٍ أَو ذِمـــامٍ غَـــيرِ مُنقَضِـــبِ

فَبَـــينَ أَيّامِـــكَ الـــلاتي نُصِـــرتَ بِهـــا ... وَبَـــينَ أَيّامِ بَـــدرٍ أَقـــرَبُ النَسَـــبِ"

٢) الكتب الأدبية:

لكن بَقِي أن أُنبِّه على شيء في القراءة:

- **القراءة للأدباء:** كتب:

١. (البيان والتبيين) للجاحظ.

٢. (وحي القلم) للرافعي.

٣. (العود الهندي)؛ هذا يُعتبَر جمعًا بين الشعر والأدب.

- **ثم نزيد رصيدنا اللغوي:**

١. وأنصح بهذا الكتاب: (رسائل ابن فارس)، وخاصةً الرسالة التي قلتُ لكم عنها: (مُتخيّر الألفاظ)، وكل الرسائل مهمة جدًّا، لكن (مُتخيّر الألفاظ) في غاية الأهمية، والإنسان بعد ذلك يُعدَم معرفة في ماذا يقرأ.

٢. الطنطاوي بالنسبة للمبتدئين جدًّا، وللناطقين بغير العربية.

سؤال أحَد الطلاب: كتب الرافعي غير (وحي قلم)، هي كلها أدَبيَّة؟

إجابة الشيخ: نعم؛ هناك كتب ما ألَّفَها ابتداءً على أنها أدَبيَّة، لكن هو لغته فخمة؛ مثلًا، (تحت راية القرآن) لم يُؤَلِّفه ليكون كتابًا أدبيًّا، وألَّفَه رَدًّا أصلًا، ولكنه مُفِيد لغويًّا.

تعقيب الطالب: يعني نَسِير على مبدأ القاعدة التي ذكرناها: خُذ أديبًا واقرأ كل كتبه؟

إجابة الشيخ: ليس مقصودًا كل كتبه، لكن المقصود: على الأقل جزء من كتبه، تُكرَّر مرارًا، أو على الأقل: كتاب مهم؛ مثلًا: (وحي للقلم) يمكن أن يُكرَّر أربع أو خمس مرات، تُحفَظ بعض النصوص فيه، لكن مَن كان له جَلَد أن يقرأ لِمَن قبلَه فهو أفضل؛ مثلًا الجاحظ أفضل.

- **هناك الكتب العربية المشهورة:**

١. كتاب (الكامل) للمبرد، أيضًا من كتب الأدب البلاغية.

٢. كتاب (الأمالي) للمُلَّا علي القاري.

٣. (عيون الأخبار) لابن أبي قتيبة، وإن كنتُ لا أُرَجِّحُه شخصيًّا.

وحيَّاكُم الله جميعًا، سَعِدنا بكم.